مجلة البيان – العدد 56 ، ربيع الآخر 1413هـ / أكتوبر 1992م

الافتتاحية

الحق والباطل

لا يستطيع كاتب يكتب في شأن مـن شـؤون الـمـسلمين أن يتجاوز المحنة التي يعاني منها المسلمون في البوسنة والهرسك،هذه المحنة التـي أقضت مضاجع المخلصين الذين يتحرقون ألماً لما يجري هناك، فبذلوا ما في وسعهم من العون المادي والمعنوي،ولكن أنىّ لهذه الجهود المتواضعة أن ترد عادية الصرب الصليبيين، أو ترد مكر الغربيين الذين سكتوا عن الجرائم المروعة التي تمارس ليل نهار على مسلمي البوسنة، وهم يرونها في وسائل إعلامهم، ولكن بما أن الضحايا مسلمون فالخطب يسير!
تفتحـت عبقرية الصرب العنصرية ، وظهر الحقد الدفين المتراكم منذ أن انتصر العثمانيون عليهم فـي معـركة »كوسوفو« وحكموا هذه البلاد. وظهرت أوربا على حقيقتها في تعاملها مع المسائل التي تمس المسلمين، وهي السـيـاسـة نفـسـهـا التي كانت تسلكها مع ما يسمى بـ (المسألة الشرقية) وعادت المسألة الدينية واضحة جلية عند اليونان والرومان والروس الذين يساعدون الصرب سراً وعلناً ، بالأسلحة وغير الأسلحة، وما ذلك إلا لاتحادهم في المذهب الأرثوذكسي. وتفتحت شهية الغرب على إعــادة رسم خريطة العالم الإسلامي وبمزيد من التفتيت ، ولم يكفهم ما فعلوه بعد الحربين العالميتين من تقسيم وتقطيع، وسيكون التفتيت في هذه الأيام على أساس العرق أو التعصب الطائفي ، فكانت فكرة المحميات في العراق ، ويتكلمون الآن عن جنوب السودان، ووضـعـت الـصـومـال تحـت حمـايـة الأمم الـمتحدة، والمخطط ينفذ وليس من قوة تعترضه ، والغرب الذي يشجع هذه العصبيات يسعى هـو إلـى الوحدة بشتى صورها وأشكالها.
أنىّ للمسلمين في هذه الأيام مقاومة هذا التوحش الصربي وهذا المكر الأوربي وهم مقهورون في ديارهم وأوطانهـم ، يعانون الخسف والهوان من أبناء جلدتهم وممن يتكلمون بلغتهم ، وهــل يسـتطـيـع المسلم في تونس أو الجزائر تقديم العون لأخيه في البوسنة وهو يعاني ما يعاني من ظلم تندك له الجبال، والإخوة في أفغانستان لم يستقر لهم قرار ، ودخل بعضهم في دهاليز السياسة والحسابات الدنيوية والتحالفات المشبوهة مع (البرشميين) و(الخلقيين) و(الباطنية وفروخهم الإسماعيليين) . ونخـشـى إذا اسـتـمـر بهم هذا الحال من التفرق أن يذهب الأمر من أيديهم - لا سمح الله-.
هذه الأوضاع المؤلمة التي تمنع المسلمين من مساعدة إخوان لهم في البوسنة تفرض علينا سؤالاً ملحاً - وإن لم يكن جديداً -: إذا كان المسلمون

على الحق وغيرهم على الباطل ، فما الذي دهاهم وأوصلهم إلى هذه الحال ، حتى أصبحوا طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب ، تتناوشهم المصائب من كل مكان ، وتتعاورهم المشاكل من كل جانب ، هل فعلوا كل الأسباب الواجبة شرعاً ولكنهم لم يوفقوا ؛ أم أنهم مقصرون بل ومستهترون في الأخذ بهذه الأسباب ، ولذلك لم تأت النتائج المطلوبة؟! إن من سنن الله في الخلق أن للباطل جولة وللحق جولات ، ولا يسلط الله أعداءه على أوليائه ((ولَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ سَبِيلاً))[النساء:141]، وإذا تصارع الحق والباطل فالغلبة للأول قال تعالى : ((كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ))[الرعد: 17] ، وقال أيضاً: ((أَمْ نَجْعَلُ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ)) [ص :28]، وقال : ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ ولَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)) [الأنبياء:18].

إن تسلط أوربا على العالم الإسلامي هذه الفترة الطويلة دليل على أن هذه الأمة لم تأخذ بأسباب القوة والعزة والاستقلال ، وقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول في الذين يظلمون وفي الذين يعدلون ، وأن العاقبة للتقوى ، ولا يوجد كتاب في الدنيا تكلم عن السنن الاجتماعية مثلما تكلم القرآن ، ومع ذلك تجد المسلمين أقل الناس أخذاً بهذه السنن ، بل وربما وصل الأمر ببعضهم أنه إذا تكلم بهذا الموضوع وحاول إبرازه رُمي بالبعد عن الدين ، وأنه يتكلم في أشياء ليست من الإسلام أو أنه يقلد أفكار الآخرين.

هكذا وصل بنا الحال إلى أننا لا نستفيد من حكمة القرآن وإرشاده في صراعنا مع الأمم الكافرة وفي تنظيم حياتنا الاجتماعية ، ونفهم آيات البعد عن الدنيا فهماً خاطئاً أخذناه عن الزهد الأعجمي الذي دخل علينا مبكراً فكان له الأثر السيئ في عدم إذكاء جذوة الصراع مع الباطل ، وأنه لابد من الاستعداد الدائم والتمكن في الأرض حتى لا يروج سوق الباطل ويفسد في الأرض.

إن أحق من يفقه هذه السنة الربانية ويأخذ بها هم الدعاة والعلماء ، الذين يصعب الآن جمعهم على مائدة الحوار والتعاون أمام الباطل المنتفش ((فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ واتَّبَعَ الَذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ))[هود: 116] .

في إشراقة آية
((ولَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً))

د. عبد الكريم بكار

كان من جملة تسخير الله - تعالى - الـكـون لهـذا الإنسان أن بثّ فيه سنناً تتسم بالاطراد والثبات والشمول. وهذه السنن مبثوثة في الكون والأنفــس والمـجـتـمعات. وإن وجود السنن رحمة من الله - تعالى - بنا ؛ إذ أننا تمكنا بسببها من اختصار كثـيـر مـن الـجهـود التي كــان علـيـنـا أن نـبـذلها لفهم ما حولنا والتعامل معه. ولنتصور أن قانون إحراق النار، أو قانون الجاذبية، أو قانون تغير الحال إلى الأحسن أو الأسوأ تبعاً لجهد الإنسان وسلوكه لم يكن ثابتاً ولا مطرداً فكيف ستكون الحال إذن؟!

ومظهر آخر للرحـمـة فـي اطــراد السـنـيـن هو أن التحول في أكثر الظواهر الاجتماعية يتم ببطىء ؛ وعمر الإنسان قصير إذا ما قيس بـعـمـر الـحـضـارات ؛ مما يجعله يبصر مقدمات الحدث دون نتائجه ، ونتائجه دون مقدماته وأسبابه. وحينئذ فإن من السهولة بمكان أن يصاب المرء بغبش الرؤية وضلال الأحكام. والسنة بتجسيرها للعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل جعلت في إمكان المسلم أن يعرف النتائج من خلال الوقوف على الأسباب ، والمقدمات من خلال رؤية نتائجها ، أي جعلت الأزمنة كتلة واحدة ، وهي بهذا الاعتبار تكون قد أمنّت للمسلم نوعاً من التواصل عبر حقب الزمان المختلفة ، فالماضي لم يغادرنا حتى ترك في حاضرنا ثقافة عصرنا وصفات وراثية محددة وظروفاً تؤطر مساحات حركتنا اليوم. إن الماضي سيظل يظهر في الحاضر بصورة ما ، وإن الحاضر سيظل يظهر في القابل بصورة ما ، وإن فيزياء التقدم عبارة عن حديث الحاضر مع الماضي عن المستقبل.

السُنَّة : إلتحام بكل الأبعاد ..

إذا كانت السنة هي الناموس العام الذي يؤمن الاستقرار والانسجام بين جزئيات الظاهر الواحدة إذا ما توفرت بعض الشروط الموضوعية فإن هذا يعني أن المسلم مأمور بعبور الماضي ليفهم جذور حاضره ، ومأمور بتجاوز الحاضر ليمد النظر نحو المستقبل ؛ كيما يفقه الخطوة المناسبة. ونجد نصوصاً كثيرة في هذا الأمر ، كقوله سبحانه : ((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ)) [آل عمران:137]. وقوله سبحانه : ((قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[العنكبوت:20] . إنها دعوة للسير في الأرض والخروج من سجن المكان المألوف لرؤية خلق الله وإبصار سننه فيه. وبما أن المكان يرث دائماً الزمان فإننا سوف نبصر من خلال السير في الأمكنة الكثير من الأزمنة الماضية وما خلفته لنا من آثار خلق الله تعالى.

وقد كانت هذه الأمة تحتل في يوم من الأيام مكان الصدارة بين الأمم ؛ فإذا بها تبحث عن مكان في الذيل ، فلا تجد ! والخطوة الأولى نحو استعادة بعض ما فات تتمحور حول بحث الأسباب التاريخية التي أدت بنا إلى هذه الحالة

المنكورة. وهذا يعني أن علينا أن نثابر في قراءة التاريخ المرة تلو المرة حتى نقف على جذور الواقع الذي نعيشه إذا ما كنا جادين في تغييره نحو الأحسن.
إن ظواهر كثيرة في حياتنا ستظل غير مفهومة ما لم نعد إلى جذورها العميقة الضاربة في القدم ؛ فإذا ما نظرنا - مثلاً - في ظاهرة »ذل المسلم وخضوعه« لم نستطع أن نفهمها ما لم نعد إلى الماضي ، فإذا عدنا رأينا ما يسوِّغ ذلك ، فقد صُب عليه من صنوف التعذيب النفسي والجسدي ، ومن صنوف الإذلال والإهانة وسياسة »اسحق الذبابة بالمطرقة« ما لا يفرز إلا مسلم اليوم!
ذلك باستمرار باسم المصلحة العامة وأمن الأمة والاستقرار العام!! لكن لا بد من القول إن انفتاح العالم على بعضه حتى تحول إلى »قرية إعلامية« - كما يقولون - قد جعل فهم الواقع اليوم أكثر تعقيداً. والسبب أن جزءاً من هذا الواقع هو الذي يمكن مسُّه ، أما الباقي فجذوره وخيوطه ربما كانت خارج أرضي المسلمين كلها!!
لكن مهما يكن من أمر فإن السنة ترسم لنا المسار العام إن لم تتحفنا بالتفاصيل.

السنة وعلوم المستقبل :

هناك اليوم حركة محمومة في الغرب لدراسة المستقبل ، حتى صار لديهم علم اسمه »علم المستقبل« . وهم يصنفون المستقبل إلى مباشر ، وهو يغطي مساحة زمنية قدرها عام ، ومستقبل أقرب وهو يغطي مساحة قدرها خمسة أعوام ، ومستقبل قريب يغطي مساحة قدرها عشرون عاماً ، ومستقبل بعيد يمتد إلى نحو خمسين عاماً ، ومستقبل أبعد يتجاوز الخمسين.
وهم لخبرتهم الحسنة بالواقع يستطيعون مد البصر نحو المستقبل في المجالات التقنية والتنموية المادية بصورة خاصة. لكن لاعتقادهم أن العلم هو الذي يكيف سلوك البشر ، وليس الدين فإن كثيراً من توقعاتهم سوف تكون مخيبة للآمال. وتاريخ البشرية هو تاريخ الرسالات والشرائع وما تحدثه من دوائر الاستجابة وردود الفعل ؛ وسيظل مستغلق الفهم على من نظر إليه على غير ذلك.
وإذا كانت وظيفة الإنسان في الحياة هي الالتزام بشرع الله والقيام بإعمار الأرض فإن القرآن الكريم يحدثنا أن هلاك الأمم الماضية لم يكن أبداً بسبب القصور العمراني ، وإنما بسبب التقصير في جانب العبودية لله تعالى والانحراف عن منهجه. وهذا ما لا يستطيع الغربيون اليوم فهمه ؛ ومن ثم فإن كثيراً من دراسات المستقبل لديهم سيظل جهاداً في غير عدو!
ونستطيع القول : إن الإسلام يربي المسلم على النظر دائماً نحو. الأمام ؛ فهو منذ البلوغ إلى أن يلقى الله - تعالى - يرنو نحو المستقبل بالآخرة - بل يجعله حكماً في حاضره بكل حركاته وسكناته. وهناك نصوص كثيرة تتحدث عن

المستقبل ، وهذه النصوص منها ما يقدم الإطار العام كقوله - سبحانه -: ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))[الرعد:11] . وكقوله - سبحانه -: ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً)) [نوح:10-12].

ومنها ما يقدم بعض التفصيلات كإخباره -صلى الله عليه وسلم- عن أن الفتنة ستأتي من قبل المشرق ، وإخباره عن فشو الأمراض الغريبة في الذين تفشو فيهم الفاحشة(1) الخ.. وقد أوجدت معرفة السنن عند السلف حساً خاصاً بالتعامل مع الواقع من خلال إفرازاته المستقبلية ؛ فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - يقول : »لا تغبطوا الأحياء إلا على ما تغبطون عليه الأموات« وهذا تعبير مركز ينمُّ عن رؤية الأشياء المادية ونهاياتها في لحظة واحدة !!

وهذا عمر - رضي الله عنه - يأتيه خبر فتح خراسان ، فيقول للناس في المدينة: »لا تبدلوا ، ولا تغيروا ، فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة إلا أن تؤتى من قبلكم«(2). وهذا هو يؤتى إليه بغنائم »جلولاء« ، فيرى ياقوته وجوهره ، فيبكي ، فيقول له عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر؟! فيقول عمر: »والله ما ذاك يبكيني ، وتاالله ما أعصى الله هذا أقواماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم«(3)! وقد كان ما خافه رحمه الله!

لماذا التعرف على السنن :

السنن ماضية قاهرة ، ونحن لا نتعلمها من أجل تغييرها أو تحييدها ، وإنما من أجل الانسجام معها والعمل بمقتضاها وتلافي الاصطدام بها. والسنن مع جبريتها لا تمنعنا من الحركة ؛ إذ إن بين جبرية السنن ووسع المسلم وطوقه مساحات واسعة تصلح للتحرك والعمل ؛ فالقوانين الفيزيائية والكيميائية ثابتة ، لكننا من خلال فهمها استطعنا إيجاد الألوف من الصناعات الكيميائية والفيزيائية مستغلين ما بينها من خلاف وتنوع.

ومشكلتنا في هذه القضية ذات رؤوس متعددة :

فهناك من هو غارق في الماضي غريب عن الحاضر ، فهو يرى مقدمات الأحداث وجذورها ، دون أن يرى النتائج ، فهو مغترب أبداً.

ومنا من غرق في الحاضر دون أن يعرف عن بدايات الخلق لأزماته ومشكلاته شيئاً ؛ فهو يدور في حلقة مفرغة لا يرى مخرجاً ، ولا يهتدي سبيلاً .

ومنا من شهد جبرية السنن ، ولم يشهد مساحات التكليف وإمكانات الحركة ، فوقف عاطلاً عن العمل هاجعاً في إجازة مفتوحة ، لكنه أثرى أدب الشكوى من الزمان والظروف وتواطؤ الأعداء بما لا مزيد عليه !!

ومنا من غرق في الأحلام الوردية ؛ فهو لا يرى ما هو كائن لينطلق به إلى ما ينبغي أن يكون ؛ فهذا شاق ، ويقتضي عملاً ، فوجد أن التعامل مع ما حوله على ما ينبغي أن يكون أسهل وأجمل فصار إليه!

ومنا من لم يسمع بالسنن فتفكيره إلى الخرافة أقرب ، وعلمه بالإرادة الكونية والإرادة الشرعية هباء ، والحياة أمامه بعد واحد ينتهي بطريق مسدود!

واجبنا اليوم :

1 - التركيز في معارفنا العامة على الدراسات التاريخية والنفسية والتربوية والاجتماعية ؛ لنتمكن من استجلاء أكبر عدد ممكن من سنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات.

2- بلورة مناهج للعمل الدعوي تتناسب مع تلك السنن في أساليبها وأدواتها.

3- تربية أبنائنا وطلابنا على التفكير السنني ؛ ليحل محل الأوهام والخرافات التي عششت في أذهان كثير منهم.

4 - محاولة القيام بتقويم سنني للأحداث الكبرى في تاريخنا والمعالم البارزة في واقعنا المعاش.

5- القيام بدراسات علمية مستقبلية تعتمد على ما فقهناه من سنن الله تعالى في حركة الفرد والمجتمع.

وإذا ما فعلنا ذلك فسوف نجد الخلاص من كثير من مشكلاتنا ، كما سنجد ساحات ودروباً للحركة والعطاء. وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش :

1- انظر هذه الأخبار وكثيراً نحوها في كتاب الفتن من صحيح البخاري.

2 - الطبري 4/173.

3 - السابق 4/30.

البيان تحاور الدكتور جعفر شيخ ادريس

"«تكملة»"

قلتم : إن الفكر الإسلامي لا يمـثـل تحدياً فكرياً ، وعنيتم بالتحدي الفكري الذي يحمل سياسة ويتجسد بقوة ، أما الفـكـرة فــلا قـيمـة لها إلا بآثارها ، ومثلتم ذلك بالشيوعية التي كانت تحدياً فكرياً للغرب، هذا التحدي الفكري يحمل فكرة ويحمل نظاماً معيناً، نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. فهل مثلت الفكرة الشيوعية تحدياً للرأسمالية؟ أم هل تعني أنهم يرون فينا تجمعاً بشرياً مخيفاً فقط؟

يـرون فـيـنا - نحن المسلمين - أننا تجمع وأننا أناس رافضون للحضارة الـغـربـيـة، هــذا معروف،حتى فوكوياما هذا الذي كتب كتاب »نهاية التاريخ« كان فحوى كتابه أن كل العالم استسلم للمنهج الأمريكي في السياسة الليبرالية والديمقراطية، وفي الاقتصاد الحر،واستثنى من ذلك العالم الإسلامي ، لأنهم ما زالوا يعتقدون أن عندهم بديلاً ، لكن هل فوكوياما قرأ كتباً للمسلمين تشرح له ما البديل الذي يرونه؟! هذا الذي أقصده بالفكرة،هل هنالك كتب يقرأها الغربيون سواء بلغتهم ، أو مترجمة عن اللغة العربية وشائعة بينهم كـمـا كان الفكر الماركسي له أنصار ليست لهم علاقة بالدولة الروسية ، بل ينتقدون الشيوعية ويميزون بين الفكر الماركسي والشيوعية ، ومازال حتى بعد سقوط الشيوعية الكثير من الأفكار الماركسية التي دخلت في الفكر الغربي: فـي علم الاجتماع، فـي علم الاقتصاد والسياسة، وحتى في البلاد التي سقطت فيها الماركسية ، لا تظنوا أن الفكر الـماركسي سيسقط كما سقط النظام الشيوعي ، إنه ما زال يعيش في عقول الناس ، وهذا الـذي تربوا عليه ، فسيبقى عندهم وستبقى منه آثار كثيرة ، وعندما كنا في البوسنة والهرسك - قبل الحرب - قلت لإخواننا هناك : لا تخدعوا أنفسكم وتظنوا أن سقوط الشيوعية معناه أن هذا الفكر خرج من رؤوس أبنائكم ورؤوسكم ، فالماركسية كانت تمثل تحدياً فكرياً لأنه ما من قضية من القضايا التي يناقشها الغرب إلا لها فيها رأي مكتوب بتوسع ومعروف عند كثير من المفكرين الغربيين.

يعني كأنك ترى أن مشكلتنا أننا لسنا حاضرين حضوراً فكرياً في أذهانهم؟

نعم ولكننا حاضرون سياسياً ، أناس يتجمعون ، حركات أصولية.. ويخلطون بين الأصولي والقومي ، لأن كل هؤلاء آتون من هذا الذي يسمونه » الشرق الأوسط « العجيب والمعقد! إنهم ليسوا معجبين بنا ، وأذكر أنه في أيام حرب الخليج كتب أحدهم وقال : لماذا نحن مشغولون بهؤلاء الناس؟! إنهم لا يستحقون منا كل هذه الانشغال ، الديموقراطية تسري في العالم كله : الدول الشيوعية ، جنوب شرق آسيا ، أفريقيا.. إلا هذا العالم الذي ليس فيه حاكم واحد منتخب! وبعضهم يربط هذا بالإسلام. أنا لا أماري ولا أشكك في أنهم يخافون من العالم الإسلامي من الناحية السياسية ؛ ولكن الذي أقوله دائماً ، وبعض الإخوة يختلط عليهم الأمر أحيانا فيظنون أنني أقول إن الغرب لا يعادي الإسلام ، ولا يعادي المسلمين أو أنه صديق لهم ، أنا لا أقصد ذلك ، بل أعني أنه لا يعدنا تحدياً فكرياً - وهذه مسألة أحزن لها - وأمثل لكم بمثال عندما أراد المركز الإسلامي في أكسفورد ، وقد تعب بعضهم حتى وافقت الجامعة على إنشائه ، فمن ضمن الأشياء التي طرحت كاعتراض على فكرة إقامته : هل في العالم الإسلامي من يكتب بحوثاً في مستوى أوكسفورد؟! وهذا لو كان

في ذهنه أدنى شك ما قال هذا الكلام ، والذين أجابوا قالوا: طبعاً ، هناك من يكتب ، والمقصود بحوث باللغة الإنجليزية.

- **بما إنكم عشتم فترة طويلة في الغرب هل تتوقعون أن يسلم عدد كبير منهم وخاصة المثقفين؟**

أولاً كما قلت لكم من الناحية الفكرية بدأت تحصل من العلوم نفسها أشياء تزعزع الأساس الذي قام عليه الإلحاد الغربي ، ثانياً: هذه الأمراض التي انتشرت مثل الإيدز زعزعت بعض المسلَّمات عندهم ، كان في الغرب شيء يسمى الحرية الجنسية ، كانوا يعتقدون أن الإباحية وعدم التقيد بالزواج أمراً إنسانياً ، وأنها حررت الإنسان من القيود التي قيده بها الدين ورجاله ، وكانوا يعتقدون أن كل ما جاءت به الأديان هي قيود لا داعي لها ، وأن الإنسان يمكن أن يتحرر منها دون أن تعود عليه هذه الحرية بالضرر.
لكن انتشار الإيدز قضى على هذه الفكرة ، حيث بدأ يعتقد كثير منهم أن الإباحية ليست أمراً طبيعياً ، وكذلك انتشار المخدرات التي ينظر إليها في أمريكا والغرب على أنها عدوهم الأول ، وأنها مع الإباحية والشذوذ الجنسي هي التي ستقضي على حضارتهم ، وليس قوى من الخارج ، فكل هذا يزعزع ثقة الناس بهذه الحضارة ، فإذا جاءهم إنسان عنده بديل يحل هذه المشكلات ، ويبقي لهم ما هو نافع ، وما يفتخرون به من حضارتهم من تقدم علمي وتكنولوجيا ، أظن أن هذا إن شاء الله سيكون سبباً في إسلام عدد كبير منهم.
المتعصبون لن يتغيروا (السياسيون) ، لكن عامة الناس ، عقول الناس ليست ملكاً لأحد ، قد »يريد السياسيون شيئاً أما عامة الناس الذين لا يعرفون عن خطر العالم الإسلامي شيئاً هم أفراد عاديون ، الإنسان منهم يريد أن ينقذ نفسه ، ولو وجد من يدعوه إلى الدين الصحيح بعد أن تزعزعت ثقته سيكون لذلك نتيجة طيبة .

- **ما رأيكم بالمراكز الفكرية والدعوية التي قامت في بلاد الغرب؟ وهل سيكون لها أثر في الغرب أو في العالم الإسلامي؟**

لا نحب أن نظلم هذه المراكز ، لكن ليس لها دور من الناحية الفكرية ، لأنها نفسها ليست مشغولة بقضايا فكرية ، وكثير من الناس فيها يعيشون هموم بلادهم ، وكثير من الجاليات الإسلامية في البلاد الأجنبية غير متمسكين بدينهم وإن كان هناك بعض الأشياء عند المسلمين - مهما كانوا ضعفاء - تبهر الغربيين ، أذكر أن تاتشر قالت مرة إنها معجبة بالتماسك الأسري عند المسلمين ، وهذا أمر يُعتز به بحمد الله ، وعلى الرغم من الانحرافات الكثيرة عندنا فما زالت علاقتنا بالوالدين والأقارب أحسن بكثير مما عندهم ، وهذا قد يكون له أثر بينهم.

- **بما أن لكم تجربة طويلة في الدعوة في البلاد العربية هل ترون أن العمل الإسلامي ومنذ بداية الحركة الإسلامية لم يحقق**

النتائج المتوقعة ، هل هنالك خلل أساسي لم ينتبه المسلمون له ، أو أنهم عرفوه ولكن لم يستطيعوا إصلاحه؟

أولاً لا أقيس النجاح بالوصول إلى السلطة.

- **نعم ليس النجاح هو السلطة ولكن أن يكونوا قوة واضحة لها تأثيرها وظهورها في المجتمع؟**

طبعاً الحركة الإسلامية - بحمد الله - لها تأثير ، وسبب جزء من هذا التأثير جهود الإسلاميين ، وجزء منه من تزعزع الغرب ، مثلاً اليساريون شعروا أن العصا التي يتكئون عليها انكسرت ، فالعلمانية لم يعد لها بريق وليس لها قبول ، أما عن أخطاء الإسلاميين فقد تحدثنا عن جزء منها في الملتقى ، وهي القضية التي أسميناها بقضية المنهج وأنه ليس واضحاً ، كثير من الجماعات قامت على أشياء عامة من الإسلام ، حتى أن الواحد منهم لا يعرف هل هو شيعي أم سني؟ وأنه لا فرق بين هذا وهذا! وهذه مسائل لا بد من الاهتمام بها ، وقد كان يكفي في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي زمن الخلفاء الراشدين أن يقول الإنسان أنه مسلم لأن هذه الكلمة لها معني واضح ، لكن بعد أن اختلف المسلمون وظهرت الانحرافات لم يعد هذا كافياً ، بل لا بد من أن يحدد الإنسان أين هو في هذا البحر المتلاطم من الانحرافات والأخطاء القديمة والحديثة ، وكثير من الجماعات لم يوضح هذا الأمر ، وعدم وضوح التصور يؤدي إلى أخطاء في العمل.

كثير من الجماعات أيضاً موقفها حتى من ناحية التصور بالنسبة للحكام الذين تواجههم أيضاً ليس واضحاً: هل هم مسلمون لا يجوز الخروج عليهم؟ هل هم كفار يجب أن يخرج عليهم؟ هل حكمهم هو الكافر لكنهم بأشخاصهم مسلمون؟! هذه القضايا لم توضح التنظيمات ما موقعها ، بعض الناس تصور تنظيماتهم كأنها جماعة المسلمين والذي يخرج منها خرج على جماعة المسلمين ، ليس هناك أهدافاً محددة ، هناك هدف عام فضفاض ، وأخشى أنه حتى لو وصلت إلى الحكم - ولا تلازم بين وضوح الأهداف وسلامتها وبين الوصول إلى الحكم فالبعثيون والشيوعيون وصلوا إلى الحكم - فإن كثيراً من الناس سيصابون بخيبة الأمل بعد أن يتعبوا ويصلوا إلى الحكم ، ثم لا يجدون عندهم ما يقولونه للناس.

- **يلاحظ في السنوات الأخيرة أن شعار وحدة العمل ووحدة الصف الإسلامي شعار مقبول من الجميع ، ولكن لم يتحقق منه شيء ، ما هو السبب برأيكم؟**

ما المقصود بوحدة الصف؟ إذا كانت وحدة الصف معناها وحدة التنظيم فهذا شيء متعذر وليس مفيداً أيضاً.

- **أن يكون هناك - على الأقل - تعاون وانسجام بدل الخلاف والتنابذ.**

قال لي مرة رجل اعتبره من عقلاء الإسلاميين في العالم ، وكان من جيل المودودي ، هذا الرجل كان مهتماً بالعمل الإسلامي على مستوى العالم : إن الحركات العالمية كالشيوعية والصهيونية يجتمعون كل ثلاث أو أربع سنوات ، ويتذاكرون وينتقد بعضهم بعضاً ، ويراجعون عملهم في تلك السنين ، وينشرون على الملأ الأخطاء التي وقعوا فيها ، أما عندنا فيحصل خطأ في مصر ، وبعد خمس سنين يكرر في السودان ، لأننا لا نعلم أنه خطأ وحدث في مصر ، أتمنى أن يسعى بعض إخواننا لمثل ذلك وقد اقترحنا هذا الاقتراح على كثير من إخواننا قبل أكثر من عشر سنوات ، وطلبنا منهم أن يجتمعوا اجتماعاً لا تصدر فيه قرارات وتوصيات ، ولا يكون من يحضره ممثلين رسميين لجماعتهم ، ويحضر هذا الملتقى أشخاص من كل جماعة يجتمعون ثلاثة أو أربعة أيام ويتذاكرون في هذه المسائل ، ويذكر كل منهم ملاحظاته على الآخر ، لأن المؤمن مرآة أخيه.

وكذلك لو أن مجلتكم أو أي مجلة أخرى تتحول إلى منبر عام للمسلمين يتساجلون فيه ،ِلمَ لا يكون ذلك؟ وأن يكون هذا الخلاف فكرياً مفتوحاً لكل الناس في الإطار الإسلامي السني ، يتناقشون فيه ويقرأون كلام بعضهم.

- **إن ظروف الحرية الفكرية وحرية النشر قد تمنع من ذلك!**

ليس من الضروري أن يدخل هذا الكلام البلاد العربية ، بل ينشر في الخارج ولا بد أن يرشح منه شيء إلى من يهتم به. وحتى لو بدأت هذه الفكرة متعثرة فلتكن المجلة منبراً حراً ويكتب فيه كل واحد ، وإن لم توزع في كل العالم الإسلامي؟ ففي بعضه ، وفي البلاد الأجنبية ، فهناك الآلاف من الشباب المسلم فيها.

للأسف فإننا نلاحظ قلة إقبال هذا الشباب على القراءة وبخاصة بالعربية إن النخبة منهم يقرأون العربية أو جزء منها بالعربية وجزء بالإنجليزية ، فلا بد للناس أن يتناقشوا في القضايا المهمة.

- **ذكرتم أن هذا اللقاء والمنبر الحر لا بد أن يكون له إطار ما ، هل ترون أنه مما يسرع في وحدة الصف أو التعاون أن يكون هناك شيء واضح يجتمع عليه في البداية مثلاً كالاتفاق على منهج أهل السنة والجماعة؟**

هذا مما أراه في النهاية ، لكن في البداية لا تجعل هذا شرطاً للكتابة في المجلة ، لأن المجلة هي نفسها وسيلة لنشر هذا الكلام ومناقشته ، لأن التنظيمات الحركية ليست جماعات فلسفية ، فالجماعة الفلسفية يمكن أن يشترك فيها أناس متباينو الفكر ، رغم أني لاحظت في الغرب أنه حتى في الجماعات الفلسفية هذا لا يحدث ، لكن أعني أن الجمعية الفلسفية أو الأدبية تتحمل هذا الخلاف ، لأنها جامدة لا تتحرك. لكن الجماعة التي تريد أن تتحرك لا بد لها من إطار موحد تتحرك فيه ، وإلا تقاذفتها الأمواج ، ووجد الانتهازيون

فرصة للفتك بها وتخريبها من الداخل خصوصاً إذا صارت كبيرة وصار من وراءها نفع ، ما أسهل على الجماعة غير محددة الاتجاه أن لا تخترق فقط ؛ بل تقاد إلى أهداف غير التي نشأت في البداية من أجلها. ولا يكفي لتحديد هذا الإطار أن يكون شيئاً كالدستور مكتوباً وينساه الناس ؛ بل لا بد أن يتربى عليه الناس حتى يستطيعوا أن يميزوا في أتباعهم المستقيم من المنحرف ، وبدون ذلك لن تكون النتائج بحجم الأهداف العظيمة التي نتحدث عنها دائماً ، كيف سنحقق تلك الأهداف إذا لم نكن على منهج محدد وواضح وصحيح؟!

- 0 **هناك من يرى أن الحركات الإسلامية في العصر الحديث، اهتمت بجانب التجميع ، ولم يكن لها تأثير اجتماعي هام : تأثير في تغيير شـيء مــن ملامح هذا المجتمع في مجال الصناعة أو الاستقلال الاقتصادي ، ومشاركتها كانت مـشــاركة المعترض على السلطة، المحتج الهارب، المسجون أو المختفي ، أي تصرفات من يعيش على هامش المجتمع.**

هذا قد لا يكون ذنب الحركات الإسلامية ، فالحركة إذا بدأت وضيِّق عليها وعورضت لا تستطيع أن تؤثر خصوصاً في مسألة الصناعة التي ذكرتها، لـكـن في بعض البلاد الحركة الإسلامية لها تأثير في بعض المؤسسات الاقتصادية التعليمية. وأمـا أنها حتى عندما تجد الفرصة للتأثير تنشغل بالمعارضة ؛ فهذا من العيوب وأنا أفرق بين النقــد وبين المعارضة ، أما المعارض فينشغل طول الوقت بنقد أخطاء الحاكم ، وهذه من الأمــــور التي نكرر فيها الخطأ ، وأفرق أيضاً بين النقد وبين الحملة ، أنت عندما تنتقد نقداً مـتـواصلاً ولا تذكر للحاكم حسنة ، هذه حملة ، وقد يتوقع أن عندك شيئاً وليس عندك شيء ، كأنك تحشره وتدعوه لضربك ، وهذا حصل كثيراً في بعض البلاد ويحدث الآن ، وأرى أن يضبط الناس أنفسهم في هذه المسألة وهي صعبة جداً ، لأن المعارضة سهلة ومغرية لمن يعتبرها باباً من أبواب الجهاد ، والإنسان بطبعه يحب التحدي ، لكن لا بد من الموازنة بين المواجهة وفائدة العمل على المستويات المختلفة الأخرى ، لأن من الخطأ أن نظن أن مشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة الحكام فقط ، إن المشكلة هي المجتمع بأسره ، فهو المنبع لهذه المشاكل ، ولذلك فإن من السذاجة الاعتقاد بأن التخلص من حاكم هو الحل السحري الذي سيخلص البلاد والعباد من الأزمات والعناء الذي يعانيه ، ونسيان أن المجتمع هو الرحم الفاسدة التي تحتاج إلى إصلاح ، حيث لا تزال تدفع بمثل هذا الذي نتمنى زواله. وما أشبه حالنا -من غير فخر- بالحال التي يصورها الشاعر العربي الذي يفتخر بقومه:

وإني من القوم الذين هـم هـمُ   إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب   بدا كوكب تأوي إليه كواكبــه

إننا - مع مواجهتنا ونقدنا للسلطة - يجب أن نسعى سعياً حثيثاً لتغيير هذا الواقع الذي يفرخ لنا هذه المصائب. كنت أظن وأنا شاب أن المشكلة هي فلان ، فذهب فلان وفلان ولم يتغير شيء، إذن المشكلة أبعد من فلان، المشكلة اجتماعية ، وهذا ما يجب أن يربى عليه الشباب، حتى تتسع رؤيتهم ، ولا يكون عملهم محدوداً ضيق الأفق ، وموجهاً إلى شخص معين فقط.

الهوامش:

*- الملتقى الثقافي الذي يقيمه المنتدى كل ستة أشهر.

الإخلاص

د. فضل إلهي

ان أهم ما يجب أن يتصف به الداعـيـة الإخلاص. فلا يجعل دعوته حرفة تكسب الأموال ولا ذريعة للتقرب إلى غير الله ، ولا سلماً للوصول إلى الجاه والسلطان ، بل يبتغي بدعوته وجه الله الواحد الأحد، ولا يريد مـن أحـد ســواه جــزاء ولا شكوراً. وسنتحدث عن هذا الموضوع بعون الله تعالى تحت العنوانين التاليين :

أولاً: وجوه تبين ضرورة اتصاف الداعية بالإخلاص.
ثانياً: أمثلة من إخلاص الدعاة السابقين.

وجوه تبين ضرورة اتصاف الداعية بالإخلاص :

وتظهر ضرورة اتصاف الداعية بصفة الإخلاص من عدة وجوه منها:

1- يشترط الإخلاص لنيل الثواب على الدعوة :

مـمـا لا شك فيه أن الدعوة إلى الله من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها لكن القائم بها لا يؤجــر ولا يثاب عـلـيـهـا إلا إذا كـان مخلصاً في دعوته. قال تعالى: ((لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً))[النساء 114]

يقول الفخر الرازي في تفسير الآية:"والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة، إلا أن الإنـسـان إنـمـا ينتفـع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطب مرضاته. فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القـضـية فصارت من أعظم المفاسد. وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظـاهــرة رعـايـة أحــوال القـلـوب في إخلاص النية ، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى"(1).

وقد بيّن رسول الله أيضاً أن العمل يحبط إذا قصد مع الله أحد. فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى

الله عليه وسلم-:قال الله تبارك وتعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "(2).
وقد بين كثير من سلف هذه الأمة أيضاً ضرورة الإخلاص لقبول العمل فقد قال سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى- : "لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يقبل أيضاً قول وعمل إلا بالنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقته السنة"(3).
وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- : "إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. ، إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة"(4).

2- الدعوة بغير الإخلاص ستجر صاحبها إلى النار:

ولا يقف ضرر الدعوة بغير الإخلاص عند حرمان صاحبها من الثواب بل يتعدى إلى أنها ستجر الداعية إلى النار. فقد روى الإمام ابن ماجة عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي قال : "لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس (5) ، فمن فعل ذلك فالنار فالنار"(6). وليس هذا فحسب بل إن الداعية لغير وجه الله تعالى سيكون أحد الثلاثة الذي تسعر بهم النار يوم القيامة. فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد. فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها. قال : "فما عملت فيها؟". قال : "قاتلت فيك حتى استشهدت " ، قال : "كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ". ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن. فأُتي به ، فعرّفه نعمه فعرفها. قال : "فما عملت فيها؟" ، قال : "تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن " ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال : فما عملت بها ، قال : "ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ". قال : : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل ". ثم أمر به فسحب على وجه ثم أُلقي في النار"(7).
وفي رواية أخرى : قال أبو هريرة -رضي الله عنه- : ثم ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ركبتي فقال : يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة"(8).
يقول الإمام النووي تعليقاً على رواية مسلم : "قوله -صلى الله عليه وسلم- في الغازي والعالم والجواد ، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) . وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك

مخلصاً ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك مخلصاً"(9).

3- القاصد لغير وجه الله لا يقدر على نيل ما يرغب فيه :

إن من ابتغى غير وجه الله بدعوته فليسأل نفسه ماذا يريد من وراء دعوته؟ هل يطلب بدعوته متاع الدنيا وزينتها؟ أم يهدف إلى نيل السيادة والقيادة في الأرض؟ أم يبتغي العزة بها؟ أم ينشد بها رضى الناس؟

إن كان قد أراد متاع الدنيا وزينتها بالدعوة فكيف يقدر على نيلها بغير إذن من له الأرض والسموات وما بينهما وقد قال تعالى : ((مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ..))[هود 15] ، وعليه أن يقرأ قوله تعالى : ((قُل لِّمَنِ الأَرْضُ ومَن فِيهَا إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيْهِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ))[المؤمنون 84-89]، وكيف ينالها بغير حكم من له خزائن السموات والأرض ((ولِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ولَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ))[سورة المنافقون 7].

وإن كان قد رغب في الزعامة والقيادة في الأرض تحت ستار الدعوة فكيف يصل إليها من غير أمر من هو مالك الملك؟ وعليه أن يتدبر قوله تعالى : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[آل عمران 26].

وإن كان قد قصد بالدعوة العزة فليعلم أن العزة من رب العباد وليست من العباد ((مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً))[فاطر10]. وإن كان قد نظر في دعوته إلى رضى الناس فليفهم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء. ثم إن القاصد لغير وجه الله تعالى لينتبه أن من فتح له المولى من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده. قال سبحانه وتعالى : ((مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ومَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ))[فاطر 2].

ومن أعطاه فلا مانع له ، ومن منعه فلا معطي له كما كان الصادق المصدوق بالوحي عليه الصلاة السلام يقول إذا انصرف من صلاته : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد"(10).

وعلى القاصد لغير وجه الله تعالى أن يتذكر دائماً أن من أهانه الله فلا معز له ومن أكرمه فلا مهين له. قال تعالى : ((وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ))[الحج 18]. وعليه أن يستحضر ما علمه النبي -صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي -رضي الله عنهما- أن يقوله في قنوت الوتر:

"وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ". (11) وعليه أن يحفظ أن من طلب رضى الله تعالى كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضى الناس وكله الله إلى الناس. فقد روى الإمام الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس "(12). فما أجهل وأخسر من ترك ابتغاء وجه الله تعالى بالدعوة لأمور لا يقدر على نيلها إلا بأمر الله تعالى.

4- المخلص في دعوته لله تعالى لا يبقى محروماً من الدنيا :

من قصد بدعوته غير وجه الله تعالى فليفكر في هذا السؤال : هل سيحرم من الدنيا إذا ابتغى بالدعوة مرضات الله سبحانه تعالى؟ للإجابة على هذا السؤال عليه أن يستحضر الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله الفقر بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له "(13).

وعليه أن يعيد إلى ذاكرته تاريخ سلف هذه الأمة. إنهم أخلصوا النية في دعوة الناس إلى رب الناس فلم يكن هذا الاخلاص حاجزا دون تدفق خيرات الدنيا ونعيمها عليهم ، خضعت لهم - بفضل الله تعالى - كبرى قوات العالم آنذاك ، ورفرفت أعلامهم من أسبانيا إلى كاشغر وبخارى ، وكثرت الأموال حتى لم يكد يوجد من يقبل الصدقات. وقد قال عنهم عدوهم :

"إننا لا نذكر أمة كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوه ، وإن العرب أقاموا ديناً من أقوى الأديان التي سادت العالم ، أقاموا ديناً لا يزال تأثيره أشد حيوية مما لأي دين آخر ، وإنهم أنشأوا دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ "(14). إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إخلاص الدعاة السابقين :

قبل أن نختم هذا الموضوع نذكر فيما يلي بعض الشواهد التي يتجلى من خلالها إخلاص الدعاة السابقين من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وإخلاص سيد الرسل وسلف هذه الأمة.

أ- إخلاص الأنبياء السابقين :

إن الدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، وعلى السالك في هذا الطريق أن يسلك كما سلكوا ، ويتزود كما تزودوا ، ويتصف بما اتصفوا به. إنهم أخلصوا لله الواحد ولم يطلبوا من أحد سوى الله تعالى أجراً. أخبر الله تعالى في سورة الشعراء عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب -عليهم الصلاة والسلام- أن كل واحد منهم قال لقومه : ((ومَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ))[الشعراء 109 ،127، 145 ، 164 ، 180] ، وهكذا أعلن إمام الأنبياء وقائد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-. يقول تعالى مخاطباً إياه : ((قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى الله وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))[سبأ 47]. ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ومَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ))[ص 86] ، ويقول تعالى أيضاً : ((أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًاً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ))[الطور 40].

2- إخلاص سيد الرسل -صلى الله عليه وسلم- :

وقد أثبت إمام الدعاة وقدوتهم أيضاً بسيرته المطهرة أنه لايريد من وراء دعوته مالاً ولا ملكاً. إنما يقصد الأجر من الله تعالى ، ومن مواقفه الكثيرة الدالة على ذلك موقفه من عروض قريش على لسان مندوبها عتبة بن ربيعة لما قال له : أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضاً... يا ابن أخي! إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. ولم يكن رده على هذه العروض إلا أن قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم ، قال : "فاسمع مني" ، فقال : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ..))، قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى انتهى إلى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك "(15).

إخلاص سلف هذه الأمة:

وهكذا كان أصحابه البررة وأتباعه الصادقون ، دعاة الحق وأئمة الهدى -رضي الله تعالى عنهم- يعلنون في كل مكان أن طلبهم ليس الدنيا بل إنهم يريدون إخراج العباد من عبادة العبـــــاد إلى عبادة رب العباد ، وأن من دخل في الإسلام فماله له ، وملكه له. وما أكثر الشــواهـــد الدالة على ذلك. فمن ذلك أن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- لما ذهب إلى رستم بناء عـلـى طـلـبه قبل بدء القتال في معركة القادسية ، قال له رستم : »إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم، ونكف الأذى عنكم، فـارجـعـــــوا إلى بلادكم، ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا«. فقال له المغيرة -رضي الله عنه- : إنا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولاً ، قال له : »إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به،وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به إلا عز«. فقال له رستم : »فما هو؟« ، فقال : »أما عـمـــوده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله« ، فقال : »ما أحسن هذا! وأي شيء أيضا؟« ، قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال : »وحسن

أيضاً ، وأي شيء أيضا؟« قال: »والناس بنو آدم ، فهم إخوة لأب وأم« ، قال : »وحسن أيضاً« ، ثم قال رستم : »أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟« ، قال : »إي والله! ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة«. ولما خرج المغيرة -رضي الله عنه- من عنده ذاكر رستم قومه في الإسلام ، فأنفوا من ذلك، وأبوا أن يدخلوا فيه(16).

ما أصرح كلام المغيرة -رضي الله عنه- لبيان موقف المسلمين من الملك والمال وحرصهم على هداية الناس. ولم يكن هذا البيان الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض على لسان المغيرة -رضي الله عنه- وحده بل هكذا كان على لسان كل من أتيحت له الفرصة لتوضيح غاية المسلمين وهدفهم.

ونجد النعمان بن مقرن -رضي الله عنه- يخاطب ملك فارس يزدجرد وجهاً لوجه بقوله: ».. ونحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام ، حسَّن الحسن ، وقبّح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه جزاء ، فإن أبيتم فالمناجزة. وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم«(17).

هكذا كان دعاة الحق في الجبهة الفارسية ، وفي الجبهة الشامـيـة يصرح معاذ بن جبل -رضي الله عنه- في وجوه القادة الروميين والشاميين :

»إن أول ما ادعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده، وأن تـصـلــوا صلاتنا، وتستقبلوا قبلتنا، وأن تستنوا بسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- وتكسروا الصليب، وتجتنبوا شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا. لكم ما لنا وعليكم ما علينا«(18).

وفـي الجبـهــة المصرية نجد عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- يبين ترفع المسلمين عن الدنيا للمقوقس بقوله :

»وليس غزونا عدونـــا ممن حارب الله لرغبة دنيا ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالي أحدنا أكان له قنطار ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً، لأن غـايـة أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قـنـطـــار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا، لأن نـعـيـــم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء. إنما النعيم والرخاء في الآخــرة، وبـذلـك أمــرنا ربنا وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنـيــا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه«(19).

وماذا كان تأثير كلام هذا الداعي المخلص الطـالـب لـرضــوان الله؟ فلنسمع -محدثنا أبا القاسم ابن عبد الحكم بقوله :

»فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله: هـل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا

وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض. ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها«(20).

وفي الجبهة الصينية لما قال ملك الصين لرئيس وفد المسلمين : قد رأيتم عظيم ملكي ، وإنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي ، فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف. فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه.

فأجابه هُبيرة بن المشَفْرج الكلابي رئيس وفد المسلمين بقوله : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه«(21).

فالسالك طريق الدعوة هو السالك سبيل الأنبياء والمرسلين ، وسبيل سيد الأولين والآخرين -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه البررة -رضي الله عنهم- ، وعليه أن يخلص نيته كما أخلصوا.

الهوامش :

1- التفسير الكبير 11/42 وانظر مختصر تفسير ابن كثير 1/440.
2- صحيح مسلم ، الحديث 2985, 4/2289.
3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 76.
4- المرجع السابق ص 66.
5- ولا تخيروا به المجالس: لتخـتـــاروا به المجالس ذات الشهرة وتجلسوا في صدورها (انظر تعليق الدكتور محمود الطحان على "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" م1 /87.
6- الألباني (انظر صحيح سنن ابن ماجة 1/48)
وفي رواية أخرى عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: »مـــن طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار«. (سنن ابن ماجة، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقـــم الحديث 228 ، 1/46) وقال عنه الألباني : »حسن« انظر صحيح ابن ماجة 1/48) .
7- صحيح مسلم , الحديث 1905.
8- صحيح الترمذي ، الحديث 1942, 2/282.
9- شرح النووي 13/50-51.
10- انظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
11- انظر مختصر سنن أبي داود للمنذري ، تفريع أبواب الوتر ، باب القنوت في الوتر، رقم الحديث 378 1 ، 2 / 125.
12- صحيح سنن الترمذي ، الحديث 1976 ، 2/288.
13- صحيح سنن الترمذي ، الحديث 2005 ، 2/300.

14 - حضارة العرب ، غوستاف لوبون 736.
15- انظر سيرة ابن هشام 1/261.
16 - البداية والنهاية 7/39.
17 - البداية والنهاية 7/ 41.
18- فتوح الشام للأزدي.
19- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص 99.
20- المرجع السابق ص 99 .
21- انظر تاريخ الطبري 6/502.

خواطر في الدعوة

في النقد الذاتي

محمد العبدة

من تأملات ابن خلدون في طبيعة الاجتماع الإنساني أن بعض الشعوب عندما تجاور شعوباً أخرى فإنها تسرق من طباعها، وتتسرب إليها عاداتها وتقاليدها ، ويضرب ابن خلدون مثلاً على ذلك أن بني إسرائيل عندما خرجوا من مصر وسكنوا بلاد الشام كانت هذه البلاد تعج بشتى القبائل والأقوام المختلفة المشارب والمذاهب، ومع طول المجاورة تأثر بنو إسرائيل بهذا التفرق ، ودبّ فيهم الخلاف وضعفوا حتى جاءهم من أزالهم عن ملكهم.

هذه ملاحظة ذكية من مؤرخنا الإجتماعي تدل على تعمقه في دراسة أحوال المجتمعات أو التجمعات ، والمتأمل لحال الدعوة الإسلامية في هذا العصر يجد مثل هذا التسرب قد دخل إليها من المحيط والبيئة التي تعيش فيها ، سواء كانت بيئة الدول الوطنية أو الأحزاب،وبيئة المجتمع المتخلف حضارياً والذي تبرز فيه الدعوات الإقليمية أو القبلية، ففي الأحزاب والدول التي نعيش بين ظهرانيها يتسلق إلى المناصب المداهنون والمتملقون الذين يتقنون فن الكلام ، ويبعد أصحاب الرأي الاستقلالي وأصحاب الشخصية القوية، وكأنهم يسيرون على القاعدة الاقتصادية (العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة) ويقع أحياناً مثل هذا في صفوف الدعوة.

ومن سنن الزعيم السياسي أن يكون من دونه شخصاً ضعيفاً حتى يستطيع التصرف ولا يبرز أحد بجانبه ، وتجد مثل هذا في الدعوات.

وتمارس الدول ضغوطاً اقتصادية على أصحاب الفكر والدعوة ، سواء كان ذلك بالمنع أو العطاء ، وتعتبر هذا من المحافظة على كيانها ، وتجد من بعض الفصائل الإسلامية من يفعل مثل ذلك ، ومن الوزراء من يجعل وزارته مزرعة لأقاربه وأصدقائه وأهل بلده ، ويقع مثل هذا أحياناً فيقرب أحدهم لصلة الصداقة أو القرابة ، كل هذه السلبيات موجودة ، ولكنها داء خفي لا ينتبه له ،

وهو من عوامل فصم عرى الوحدة ، وزرع الإحن والبغضاء ، وإبعاد الكفاءات ، فهل تعالج هذه الأمور قبل استفحالها وقبل أن تقضي على ما تبقى من حيوية الدعوة.
نحن لا ننكر أثر البيئة، ولكن المراجعة المستمرة للأخطاء وللأسباب المعيقة للتقدم، والتعمق في فهم بعض الظواهر السلبية؛ كل هذا كفيل بأن يخفف كثيراً من أثر البيئة. إن ابن خلدون يريد أن يقول: إن هذا من حتميات التجمع البشري، ولا أعتقد ذلك.

مسائل في التكفير

عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد : من المعلوم أن مسألة التكفير من المسائل الكبار ، والقضايا الخطيرة ، وقد خاض فيها الكثير من بين غالٍ وجاف.. وهدى الله تعالى أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، فقرروا هذه المسألة بعلم وعدل ، وتوسطوا بين أهل الغلو والإرجاء. وسأعرض في الصفحات التالية طرفاً من مباحث هذا الموضوع على النحو الآتي :

1- أهمية هذه المسألة وخطورتها:

نبّه علماؤنا إلى خطورة هذه المسألة وعظم شأنها ، وما يترتب عليها من نتائج وتبعات سواء في الدنيا أو الآخرة ، وإليك جملة من كلامهم في ذلك :
قال ابن تيمية - رحمه الله -: »اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق« هي من مسائل »الأسماء والأحكام« التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان«(1).
وقال ابن الوزير: »وكم بين إخراج عوام فرق الإسلام أجمعين ، وجماهير العلماء المنتسبين إلى الإسلام من الملة الإسلامية ، وتكثير العدد بهم ، وبين إدخالهم في الإسلام ونصرته بهم وتكثير أهله ، وتقوية أمره ، فلا يحل الجهد في التفرق بتكلف التكفير لهم بالأدلة المعارضة بما هو أقوى منها أو مثلها مما يجمع الكلمة ، ويقوي الإسلام ، ويحقن الدماء ، ويسكن الدهماء حتى يتضح كفر المبتدع اتضاح الحق الصادق ، وتجتمع عليه الكلمة«(2).
إلى أن قال: »وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة ، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله ، وتعظيمهم لله تعالى بتكفير عاصيه ، فلا يأمن المكفّر أن يقع في مثل ذنبهم ، وهذا خطر في الدين جليل ، فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل«(3).

وقال الشوكاني : »اعلم أن الحكـم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله والـيـوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصـحـيـحة المروية من طريق جماعة من الصحابة -رضي الله عنهم- ، أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما..«(4).

وعندما يقرر هؤلاء الأعلام وغيرهم خطورة هــــذه المسألة ، فلا يعني تمييعها وإغلاق باب الردة بالحكم بإيمان من ظهر كفره بالدليل والبرهــــان ، فهذا لا يقل انحرافاً وخطراً عن تكفير مسلم وإخراجه من الملة ، ولذا قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

»وبالجـمـلــة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله ، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله ، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخـالــه من أعظم أمور الدين« وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة ، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم..«(5)

- 2 -

يتعين التنبيه على أن الحديث عن موضوع الكفر أو التكفير لا ينفك عن فهم مقابله وهو الإيمان ، ولذا فإن الانحراف في تعريف الإيمان ، يورث انحرافاً في تعريف الكفر ، وقد أشار الشيخ العلامة عبد الليف بن عبد الـرحــمـــــن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله إلى قاعدة في ذلك فقال :

»اعلم أن من تصوّر حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج ، وعرَف ماهيته بأوصافها الخاصة ، عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده ، وإنما يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين ، أو بجهل كلا الماهيتين ، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما ، لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر ، وكم هلك بسبب قصور العلم ، وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة ، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة«(6).

ومثال ذلك أن المرجئة لما أخطئوا وانحرفوا في فهم الإيمان ، فحصروه في مجرد التصديق ، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان ، أورثهم ذلك انحرافاً في فهم الكفر ، حيث حصروه في دائرة التكذيب فقط ، وانكروا كفر العناد والاستكبار ، وكفر الإعراض ونحوهما من أنواع الكفر الأكبر (7).

- 3 -

يجب أن يُعلم أن الكفر حكم شرعي ، وأن الكافر هو من كفّره الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ، فليس الكفر حقاً لأحد من الناس بل هو حق الله تعالى. يقول ابن تيمية: »فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس

للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه ، ولا تزني بأهله ؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى ، وكـذلك التكفير حق الله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله«(8).
ويقول القرافي : »كون أمر ما كفراً ، أي أمر كان ، ليس من الأمور العقلية بل هو من الأمور الشرعية ، فإذا قال الشارع في أمر ما هو كفر فهو كذلك ، سواءً كان ذلك القول إنشاء أم إخباراً«(9).

4- تعريف الكفر لغة واصطلاحاً:

الكفر لغة: التغطية ، قال تعالى: ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ)) فسمي الفلاح كافراً لتغطيته الحب ، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء(10).
وأما معناه اصطلاحاً ، فنورد جملة من كلام أهل العلم في ذلك. يقول ابن تيمية: »إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم«(11).
ويقول ابن حزم في تعريف الكفر: »وهو في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان : بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج بذلك عن اسم الإيمان«(12).
ويقول ابن القيم في بيان معنى الكفر: »الكفر جحد(13) ما علم أن الرسول جاء به ، سواءً كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وصلبه«(14).
ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: »وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه،وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول ، أو جحد بعضه ، كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً، فالإيـمــــــان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً انتفى الآخر«(15).
من خلال النصوص السابقة نوجز معنى الكفر - الذي لا يجامع الإيمان - بأنه اعتقادات ، وأقوال ، وأفعال سماها الشارع كفراً منافياً للإيمان بالكلية- فإذا كان الإيمان قولاً وعملاً ، فكذا الكفر يكون قولاً وعملاً ، فقد يكون الكفر قولاً قلبياً كالتكذيب ، وقد يكون عملاً قلبياً كالبغض لما جاء به الرسول ، وربما كان الكفر قولاً باللسان كالاستهزاء بالله تعالى وآياته أو رسوله.. وتارة يكون عملاً بالجوارح كالسجود لصنم ونحوه..

وإذا كان الإيمان ليس شعبة واحدة فحسب بل هو بضع وسبعون شعبة كما أخبر الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- -في حديث شعب الإيمان- ، فكذا مقابله الكفر. يقول ابن القيم مقرراً ذلك : »الكفر ذو أصل وشعب ،

فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان«(16).
وإذا ثبت أن الكفر شعب متعددة ، وأن له مراتب ، فمنه ما يخرج من الملة ، ومنه ما لا يخرج من الملة ، فإنه يمكن أن يجتمع في الرجل كفر- غير ناقل من الملة - وإيمان ، وهذا أصل عظيم عند أهل السنة ، قد دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع ، ولقد أخطأ المبتدعة - عموماً - في دعواهم أن الكفر خصلة واحدة ، بناء على ظنهم الفاسد أن الإيمان شيء واحد يزول كله بزوال بعضه ، فلم يقولوا بذهاب بعضه ، وبقاء بعضه ، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : »يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان«(17).

6- تكفير المطلق وتكفير المعين :

يفرِّق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعيّن ، ففي الأول يطلق القول بتكفير صاحبه - الذي تلبس بالكفر - فيقال : من قال كذا ، أو فعل كذا ، فهو كافر ، ولكن الشخص المعيّن الذي قاله أو فعله لا يحكم بكفره بإطلاق ، بل لا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع ، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.
يقول ابن تيمية: »وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط ، حتى تقام عليه الحجة ، وتبين له المحجة ، ومن ثبت إسلامه بيقين ، لم يزل ذلك عنه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة(18).
ويقول أيضاً: »إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين ، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيّن ، إلا إذا وجدت الشروط ، وانتفت الموانع ، يعين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه (19).
ويسوق ابن تيمية بعضاً من الأعذار الواردة على المعين فيقول : »الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق،وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية ، هذا الذي عليه أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وجماهير أئمة الإسلام« (20).
ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : »ومسألة تكفير المعيّن مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً ، فيقال : من قال بهذا القول فهو كافر ،

لكن الشخص المعيّن إذا قال ذلك لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها«(21).

وإذا ظهر لنا الفرق بين التكفير المطلق ، وتكفير المعيّن ، فسندرك خطأ فريقين من الناس ، فهـنـــاك فريق قد غلا وتجاوز فادعى تكفير المعيّن بإطلاق ، دون الالتفات إلى مدى توافر الشروط وانـتـفـــاء الموانع عن ذلك المعيّن ، وفي المقابل نرى فريقاً من الناس قد امتنع عن تكفير المعين بإطلاق ، وأوصد باب الارتداد.

7- قيام الحجة :

من بَلَغه هذا الدين فـقــد قامـت علـيـه الحجة ، وحكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق المعيّن حتى تقوم عليه حجة الله تعالى الـتي بـعــث بها رسله ، قال تعالى : ((لأُنذِرَكُم بِهِ ومَن بَلَغَ)) ، وقال سبحانه : ((ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حـَتَّـى نَـبْـعَـثَ رَسُـــولاً)). وأما شرط قيام الحجة على المكلفين : »فالحجة على العباد إنما تقوم بشيئين : بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي.. «(22).

ومما يجدر ذكره أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأشخاص، كما قال ابن القيم: »إن قـيــام الـحـجـــة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى،كما أنها تقوم على شخص دون آخـــر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ، ولم يحضر ترجمان يترجم له«(23).

هذا ما تيسر عرضه لهذه المسألة، راجياً من الله تعالى حسن البيان، وسلامة القصد، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش :

1 - الفتاوى 12/ 468.
2- إيثار الحق على الخلق ص 455.
3- المصدر السابق ص 447.
4 - السيل الجرار 4 /578.
5- الدرر السنية 8/217 .
6- منهاج التأسيس ص 12.
7- انظر تفصيل ذلك : الفتاوى لابن تيمية ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم 1/94.
8- الرد على البكري ص 257 .
9- تهذيب الفروق 4/158-159.

10- انظر لسان العرب 5/144 - 145 مادة كفر .
11-الدرء 1/242
12- الإحكام 1/45 .
13- يطلق بعض السلف الصالح معنى الجحود.. ويراد به التكذيب المنافي للتصديق ، كما يراد به الامتناع والرد والإباء ، فليس الجحود محصوراً في تكذيب كما ظن المرجئة ، انظر بيان ذلك في الفتاوى لابن تيمية 20/98، منهاج السنة النبوية 5/130، والصارم المسلول ص 521-522 .
14 - مختصر الصواعق المرسلة 2/ 421.
15- الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص 203 .
16- كتاب الصلاة ص 53.
17- انظر تفصيل هذه المسألة في الفتاوى لابن تيمية 7/510-223 .
18 - الفتاوى 12/ 466 (الكيلانية).
19 - المصدر السابق 12/487 -488.
20- الفتاوى 23/346 ، 348-349 ، والرد على البكري ص 259.
21- الدرر السنية 8/244.
22- الفتاوى لابن تيمية 20/59 .
23- طريق الهجرتين ص 414.

جولة ثانية
في الهجوم على العمالقة

محمد عبد الله آل شاكر

- 1 -

أصبحت المختصرات الماسخة للأصول المطولات من تراثنا كثيرة كثرة تستلفت النظر وتدعو للوقوف عندها. وأصل فكرة الاختصار هذه ، وواقعها عند أدعياء التيسير والتهذيب اليوم؛ محل نظر.

ويطول بنا الحديث لو رحنا نستقصي آثارها ومظاهرها »فحسبنا - إذن - أن نشير إلى دراسة ممتعة في هذا ، قدمها الشيخ عثمان عبد القار صافي ، من طرابلس الشام ، بعنوان: »أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف« (طبع دار الفاروق بالطائف) وهي دراسة تمهيدية تهدف إلى المحافظة على التراث العلمي الإسلامي والتحذير من العبث به.

وكان للشيخ عثمان فضل السبق والريادة في ذلك ، أقام كتابه هذا على دراسة لبادرة الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه »مختصر تفسير ابن كثير« و »صفوة التفاسير«، وهي تصدق أيضاً على ما أصدره الشيخ بعد ذلك

من مختصرات، مثل »مختصر تفسير الطبري« و »مختصر روح البيان« و »مختصر الأذكار«.. وكأنه تخصص في السلخ والمسخ والاختصار.
ومراجعة مختصر ابن كثير تقدم دليلاً على ذلك ، ولديّ الكثير من الأمثلة جمعتها عندما كنت أقوم بتدريس هذا الكتاب في بعض المدارس الشرعية ، وكان مقرراً في برامجها!

-2-

وأما العمل الذي لا أستطيع أن أجد له بابا أضعه فيه ، ولا أعرف له وصفاً جامعاً يناسبه أو يجمع كل ما ينبغي أن يقال فيه، فـهـــو هذا العمل الجديد في كتاب »رياض الصالحين« للإمام النووي -رحمه الله- ، وهو بطبيعته المـقـصــودة هذه قد أوفى على الغاية في جمال الإخراج ، وجودة الطباعة ، ورواء المنظر.
ولـكـــن هذا الكتاب الذي كتب الله له القبول بين الناس منذ ثمانية قرون ، هي عمره منذ تأليفه، صدرت طبعته الجديدة عن "دار طيبة" بمكة المكرمة و"المكتبة الإسلامية" في عمان بالأردن، »ومـن حـــــق الأخيرة أن تُقَدَّم لعلة يعرفها من يقرأ المقدمة«. »حققه وقدم له وهذبه وخرجه: حسان عبد المنَّان« و »راجع تخريجه والحكم على أحاديثه: شـعـيــب الأرنؤوط« الطبعة الأولى 1412 هـ.
وآمل من القارئ الكريم أن يتابع معي هذه العبارات التي تتوسط غلاف الكتاب: »تمتاز هذه الطبعة بضبط نصوصها ، وتهذيبها، وتخريجها، والاقتصار فيها على الصحيح، مع بيان الضعيف منها في فصل خاص، وترتيب أحاديثها في الأبواب المناسبة لها ، ووضع عناوين فرعية لها ، وشرح غريبها ، وما أشكل منها«. (انتهى)
هذه ثماني مميزات لهذه الطبعة يمنّ بها علينا الشيخ »عبد المنان« ، ولن نعدو الصواب إذا قسمناها إلى قسمين ، أحدهما: كذب ، والآخر: جريمة واعتداء على الإمام النووي ومسخ لكتابه ، وإليك البيان :
أما »ضبط النصوص ، وتخريجها ، وشرح غريبها ، وما أشكل منها« فليس هذا ميزة خاصة بهذه الطبعة ، فقد سبق لهـــذه الميزات طبعات كثيرة - مجتمعة أو متفرقة - كتلك التي حققها وفهرسها وضبط وشرحـهــــــا الدكتور صبحي الصالح (رحمه الله) ، وكذلك طبعة الأرنؤوط ، والدقّاق.. وغيرهم. وقد ذكر المحقق عدداً منها في مقدمته.
وأما »تهذيب نصوصها« - ونصوص الكتاب كلها آيات وأحاديث - فلست أدري والله - ما الذي يحتاج إلى »التهذيب« ، أهذه النصوص الكريمة أم الذي قام بتهذيبها نفسه؟ وما أدري - وما أخال عاقلاً يدري - من الذي أعطى هذا الحق لصاحبنا المحقق المهذب أن يقوم بترتيب أحاديث الكتاب في الأبواب المناسبة لها (بزعمه ، وكأن النووي -رحمه الله- لم يدرس أصول الترتيب والتأليف على

المحقق! كان ينبغي أن يتعلم منه قبل أن يُخْلَق!) ، والاقتصار على الأحاديث الصحيحة كذلك ، مع بيان الضعيف منها في فصل خاص ، وهو يطبع الكتاب باسمه المعروف وباسم مؤلفه! وأنا أستحلف الأخ المحقق ، فأقول له : بربك الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ، قل لي : هل هذا هو »رياض الصالحين« نفسه بنصه وفصه ، كما وضعه المؤلف؟

وأقسم يمينا غير حانث : أنه ليس هو!! فَلِمَ هذا التزوير والعبث والافتئات؟ وحرام على من يشتغل بعلوم السنة وتحقيق أحاديـثـهــــــا أن يكون هذا شأنه مع نصوصها وكتبها وعلمائها.

ثم نـــأتي إلى قضية الأحاديث الضعيفة تلك التي حذفها من الأصل ورمى بها إلى الملحق بذيل الـكـتـاب فـي فـصــل خاص ، والتي يهوّل بها أغيلمة التحقيق والمتاجرون برياض الصالحين وغيره ؛ يقول النووي -رحمه الله- : »فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة.. وألتزم فيه ألا أذكـــــر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات ، مضافاً إلى الكتب الصحيحة والمشهورات..«

أفلا يمكن أن نقول : إن ما رآه المحقق الفاضل ضعيفاً ، أو حكم عليه بالضعف، هو صحيح بنظــر النووي على الأقل (بل بنظر البخاري ومسلم، فـمــــن الأحاديث الـتي ضـعـفـهــــا المحقق عدد من أحاديث الشيخين !) فيكون ذلك من باب اختلاف العلماء في التصحيح والتضعيف (وقد دخل صاحبنا في زمرتهم)؟!

أوَ لا يمكن أن نخفف من حدة الأمر والتهويل به؛ بـأن هــــــذا كله في أبواب الترغيب والترهيب ونحوها ، التي يتساهل العلماء في الرواية فيها بشروطـهـم ، حيث يقول الإمام أحمد وغيره : إذا روينا في الترغيب تساهلنا ، وإذا روينا في الأحكام أردنا هكذا - وقبض يده -؟ وإلا فهل كان البخاري عاجزاً عن انتقاء أحاديث »الأدب المفرد« مثلاً من الصحاح بشرطه المعروف؟ وكذلك الذهبي في كتابه »الكبائر«، والنووي في »الرياض«، بحيث لا يخالفهم الشيخ عبد المنان في تصحيحها؟

أمــــا هذا الترتيب لأحاديث الكتاب »في الأبواب المناسبة لها« - كما قال- فهو تغيير يمسّ أصــــل الكتاب. وليس من حق المحقق أن يغير الكتاب بما يراه ، وإذا أراد ترتيباً معيناً فيمكن أن يكـتــــب كتاباً يرتبه كما يشاء. والغريب أنه يفعل فعلته تلك ، وهو الذي لازم شيخه الأرنؤوط فـي البحث والتحقيق ست سنوات في مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة ، عندما كان يحقق أمهات كتب الحديث والتراجم (صحيح ابن حبان، العواصم والقواصم ، شـــرح مشكل الآثار.. شرح الطحاوية.. سير أعلام النبلاء) فهل كان عمل مكتب التحقيق بإشــراف الشيخ الأرنؤوط هو السطو على كتب الأئمة وتغيير ترتيبها؟ ولست أدري كيف فات هذا العمل في الترتيب كلَّ من قام بتحقيق الكتاب وطبعه

قبل الشيخ عبد المنَّان؟ لعل فـيـهـــم من لا يعرف أهمية هذا العمل وخطورة الأحاديث الضعيفة؟ فماذا نقول إذن عن الشيخ الألباني؟!
فإذا غادرنا صفحة الغلاف إلى المقدمة نجد المحقق يقول معدَّداً ما امتاز به عمله ، فيذكر الأمر الأول ، وهو: »تهذيب الكتاب واختصاره في صورة لا تخل بمقصود الكتاب ، بل تزيده دقة وفائدة (والحمد لله على التواضع والإنصاف ، فقد أشار إلى أن في الكتاب دقة وفائدة ، ولكنهما بحاجة إلى زيادة) ويسهل تناوله أكثر بين الناس ، دون إنقاص فائدة من فوائده ، وكانت الغاية من هذا التهذيب أن ينال الكتاب بأقرب الصور ، ويقرأ دون ملل في وقت قصير..«.
أما أولاً : فإن كلام المحقق صريح في أنه اختصر الكتاب. فليكن إذن عنوان المطبوع »مختصر رياض..« وإلا فكيف ينسب للنووي كتاباً لم يضعه بهذه الصورة؟
وثانياً : هذا »التهذيب« الذي يدندن حوله ، فمرة أخرى أسائل القراء الكرام : من الذي يحتاج فعلاً إلى تهذيب (بل إلى تعزير وتأديب)..؟
والتطاول على النووي - ثالثاً - صريح في تلك العبارة ، وفي غيرها صراحة أكثر ، لأن مفهوم كلام صاحبنا أن الكتاب كان بحاجة إلى زيادة »دقة وفائدة« فجاء التهذيب والاختصار تحقيقاً لذلك. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.
وما إخال إنساناً سوياً ، خلقه الله ووهبه عقلاً ، يشكو صعوبة تناول كتاب النووي ، حتى جاء صاحبنا ليسِّهل له ذلك بالتهذيب كيما يناله بأقرب الطرق (حتى ولو كانت مشروعة). والغريب حقاً : أنه يفعل ذلك »ليقرأ الكتاب دون مللٍ في وقت قصير« مع أن صفحاته الستمائة تقريباً تعادل حجم الأصل ، ومن ذا الذي سمعتموه - يا معشر القراء العقلاء - يشكو من طول الكتاب ومن الملل في قراءته؟
ورابعاً : زعم المحقق أنه اختصر الكتاب ليسهل تناوله »دون إنقاص فائدة من فوائده« كيف يصح هذا ، وهو الذي كتب في بيان عمله متبجحاً أنه : حذف الآيات المتكررة المعنى واللفظ ، وحذف المكرر من الحديث ، وحذف تخريجات النووي ، وحذف بعض الأبواب ، وبعض الأحاديث الصحيحة(!).. حتى بلغ الحذف أحد عشر بنداً. فهل كان هذا المحذوف لا يخلّ بفائدة من فوائد الكتاب؟ وهل كان ذلك كله حشواً ، فجاء هو لينزه الكتاب عنه ؟ ولست أدري ما الذي تركه للمحققين من بعده ليحذفوه في طبعات أخرى؟
ثم يبلغ التطاول حداً كبيراً يتجاوز السنة ويصل إلى القرآن الكريم ، فهو يحذف »الآيات المتكررة المعنى واللفظ إن كانت في باب واحد«. فما أدري - والله - ماذا يقول علماؤنا في هذا؟ أين يجدون الآيات الكريمة المتكررة لفظاً ومعنىً؟
وإن كنا قد فهمنا غرض المحقق من حذف الأحاديث الضعيفة ، فكيف نفهم غرضه من »حذف بعض الأحاديث الصحيحة من الكتاب إذا كانت هذه الأحاديث

مما ذَكَرْتُه (أي المحقق) في الباب نفسه في الحاشية«. فهل أصبح من مقاصد الشريعة وغايات التحقيق أن نحذف من المتن لأجل الحاشية؟ فننزل بالأصل مكاناً ومكانة ، ونرتفع بالحاشية مكانة ، فينقلب الأمر رأساً على عقب؟!

-3-

فإذا وصلنا إلى البند الثاني من الميزات التي امتازت بها طبعة صاحبنا وجدناه »بيان الأحاديث الضعيفة في الكتاب« كيف يكون هذا ميزة له ، وهو يكتب بخط يده »أن كثيراً من الطبعات أشارت إلى درجات الأحاديث صحة وضعفاً ، وكان أفضلها نسخة أستاذنا (أي أستاذه هو) المحدث شعيب الأرناؤوط ، ونسخة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ونسخة الدكتور فاروق حمادة«؟ (وبالمناسبة هذه طبعات لهم وليست نسخاً لهم).
ولعل السبب في قوله ذاك : أنه - كما قال عنهم -: »قد فاتهم من بعض الأحاديث الضعيفة فحسَّنوها أو صححوها..) فجاء هو ليستدرك عليهم بتواضعه وأدبه الجم ، ويلتمس لهم العذر في أنهم اعتمدوا »في الحكم على رواة تلك الأحاديث على كتاب "التقريب" للحافظ ابن حجر (رحم الله ابن حجر ، ماذا كان سيفعل لو علم أن جيلاً قادماً سيقول في كتابه ما قال صاحبنا؟ لعله كان يسجر التنور بأوراق كتابه ويكفي الناس همَّ النقد والتعب). والكتاب كما لا يخفى على ذي بصيرة قد جانب الإصابة في الحكم على عدد لا بأس به من رجاله ، ووقع في أخطاء واضحة.. (والنقط هذه من المحقق !!) وكان قد أنبهني إلى بعضها أستاذي المحدث شعيب الأرناؤوط حفظه الله ، فرسم لي الطريق وأفادني من علمه ، ومشيت في ركب البحث والتنقيب عنه حتى صار عندي منها الكثير ، والنية متجهة إن شاء الله لإكمال الشوط الذي بدأناه باشراف شيخنا ومعونته«.
وصاحبنا متواضع ومتثبت فيما يقول ، فهو لا يلقي الكلام على عواهنه ، ولا يمنّ علينا فهو يقول : ».. وهذه الأحاديث التي ذكرتها فصَّلت القول فيها تفصيلاً شافياً بإيجاز ، مبيناً علَّتي في تضعيف الحديث« ، ولذا فهو لم يحذف هذه الأحاديث الضعيفة من الكتاب ، بل جعلها في فصل مستقل بآخره »ليأخذ منها ويستفيد بها مَنْ لا يرى ضَعْفَ الأحاديث التي ذكرتُ (أي عبد المنان) لِعلم أصابه أو شاهدٍ رآه يقّوي الحديث..«.
إذن ، دَعْها في مكانها وأرِحْ نفسك من عناء نقلها ، وتغيير الكتاب ، وتواضعْ ثانية كما هي عادتك ، فإن من القراء من لا يرى ضعفها فيستفيد منها في مكانها وسياقها. ولا داعي للافتئات على النووي ، ولا حاجة للعبث بكتابه وتقطيع أوصاله. (وبالمناسبة لشدة تواضعه ، قد يميل إلى تضعيف حديث ضعّفه غيره أيضاً ولكنه مع هذا المَيل لا يحذفه ، ولا أدري لماذا خالف قاعدته؟).

وبمناسبة التصحيح والتضعيف والتواضع : هل يتكرم المحقق الفاضل فيبين لنا محل هذه الجملة من الإعراب عندما يقول : »وافقني عليه الشيخ الألباني« والكل يعلم أن تحقيق الألباني على الأقل أسبق من تحقيقه هو بسنوات. فمن الذي يوافق الآخر. ورحم الله أياماً كان الطلاب يوقرون أساتذتهم وشيوخهم ولا يتنفخون عليهم !!

ومِنْ قبل ومن بعد: لِمَ هذا الازدراء والإهــمـــال للـعـلـمــاء السابقين الذين كان لهم باع في التصحيح والتضعيف ، ولهم مكانتهم ، ولكلامهم وحكمهم وزن ، لِمَ يعرض عنهم صاحبنا ، ويكتفي بموافقة شيخه له في تضعيفه للحديث أو حكمه عليه؟ حتى تكررت هذه العبارة وكثرت كثرة ملفتة للنظر ، فأصبحت ممجوجة. وإذا كان فـضـيـلـــة المحقق أميناً دقيقاً في عبارته حين يقول »وافقني الشيخ شعيب ترجيحاً«! فلماذا لا يكون أمـيـنـاً دقيقاً عند تحقيقه للكتاب ، فيعبث به هذا العبث ، ويخون الأمانة ويجانب الدقة؟

ومـمـــا يتصل بالأمانة والدقة في التحقيق ، ولكن صاحبنا يغفله ، أنه يُدخِل كلامه ضمن نصِّ الكتاب عند الإحالات الكثيرة عقب الأحاديث ، كقوله : انظر حديث كذا.. وحديث كذا.. بما قد يبلغ أسطراً عديدة ، بل يتجاوز نصف الصفحة بحرف صغير.

والنكــتــة البارعة الأخيرة ، يطلقها صاحبنا فيقول في ص (507): »وحرصاً مني على إتمام الفائدة للـعـامــة والـخـاصـــة أذكر هنا في هذا الفصل الأحاديث الضعيفة في كتاب »رياض الصالحين« وقد بلغت عندي أكثر من مائة، وعـقـبـت بـعــد كــل حــديث بدليل ضعفه مع تخريجه بإيجاز.

صحيح أن العامة أمثالي (حقيقة لا تواضعاً ، وعلى الأقل في مجال التحقيـق) يستفيدون من ذلك ، ولكن ما حاجة الخاصة - طبعاً من علماء الحديث والمحققين منهم - ما حاجتهم لهـــذا الفضل؟ ومساكين كم فاتهم من علم وفوائد قبل أن يمنّ الأخ »عبد المنان« بإخراج هذا الكتاب.. ولا حول ولا قوة إلا بالله؟

مصطلحات

العقل

عثمان علي حسن

العقـل لغة مصدر عقل، يعقل، عقلاً، فهو معقول، وعاقل. وأصل معنى العـقــل الـمـنـع، يقال: عقل الدواء بطنه ، أي أمسكه ، وعقل البعير: إذا ثنى وظيفه إلى ذراعه ، وشدهما بحبل؛ لمنعه من الهروب. وأطلق العقل على معان كثيرة، منها: الحجر والنهي، والديـة؛ لأن القـاتـل يســوق الإبل إلـى فناء المقتول ثم يعقلها هناك ، ويطلق - أيضاً - على الملجأ والحصن، وكذلك

القلب(1)؛ ولذا قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - في ابن عباس - رضي الله عنهما -: »ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً«(2) وما تقدم من إطلاقات فهي تدور حول المنع.
وفي الاصطلاح فالمختار هو أن يقال : العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان (3): الغريزة المدركة ، والعلوم الضرورية ، والعلوم النظرية ، والعمل بمقتضى العلم.
الأول : الغريزة التي في الإنسان ، فيها يعلم ويعقل ، وهي كقوة البصر في العين ، والذوق في اللسان ، فهي شرط في المعقولات والمعلومات ، وهي مناط التكليف ، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.
الثاني: العلوم الضرورية وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات ، والواجبات، والممتنعات. والفلاسفة والمتكلمون عرفوا العقل بها ، ومنهم - كالباجي - من قسمها إلى قسمين: قسم يقع في الناس ابتداء، والآخر يحصل بالاكتساب، وخصوا العقل بالقسم الاول.
الثالث: العلوم النظرية ، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال ، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جلي وواقع.
الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم (4) ولهذا قال الأصمعي : »العقل : الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن«(5). وقيل لرجل وصف نصرانياً بالعقل : »مه ، إنما العاقل من وحَّد اللهِ وعمل بطاعته«(6) وقال أصحاب النار: ((لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [الملك.10]. فتعريف بعض الناس العقل بذكر بعض هذه المعاني ليس بجامع ، والصواب ذكر معانيه مجتمعة.
وفي كل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأنه جوهر قائم بنفسه ، خلافاً للفلاسفة ، ومن شايعهم من المتكلمين(7) ، بل العقل صفة أو عرض - عند من يتكلم بالجوهر والعرض - يقوم بالعاقل ، وكونه صفة يمنع كونه أول المخلوقات ، لأن الصفة لا تقوم بنفسها(8).

التفاوت في العقول:

عرف الباجي العقل بأنه : »العلم الضروري ، الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء« ويلزم منه أن يكون الناس في عقولهم سواء ، وهو مذهب المعتزلة ، والأشاعرة ، ووافقهم ابن عقيل من الحنابلة ، وهو ما ذهب إليه الفلاسفة(9) وعلى رأسهم ديكارت القائل بأن : »العقل هو أحسن الأشياء توزعاً بين الناس بالتساوي..« إلى أن قال : »إن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر..«(10).
وحجة المتكلمين - في عدم - تفاوت العقول واختلافها - هي أن العقل حجة عامة، يرجع إليها الناس عند اختلافهم ، ولو تفاوتت العقول لما حصل ذلك ، وهذا مبني على مذهبهم في تعريف العقل ، بأنه : بعض العلوم

الضرورية والتي لا يختلف الناس عليها ، والصواب ما تقدم ، وهو أن مـسـمـى العقل يشمل العلوم الضرورية ، والنظرية ، فالتحاكم إلى العلوم الضرورية يمـنـع الـنـزاع والاختلاف(11) ، والتحاكم إلى العلوم النظرية يحتمل النزاع والاختلاف، وهذا مشهور بين الناس ولا سيما المشتغلين بالعلوم العقلية من الفلاسفة والمتكلمين ؛ حيث يكثر بينهم التنازع والاختلاف.
والحق أن يقال : إن العقول تتفاوت من شخص إلى شخص ، بل قد يحصل هذا التفاوت في الشخص الواحد ، كما قال الشاطبي - رحمه الله -:
»فالإنسان - وإن زعم في الأمر أنه أدركه ، وقتله علماً - لا يأتي عليه الزمان ، إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل ، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك ، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عيانا ، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم..(12)
وحديث:»..ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن..«(13) مـمـا يـمـكـن الاستدلال به على هذا التفاوت، إذ الحديث دل بمنطوقه على الـنـقـصـان، وبمفهومه على الزيادة وهو معنى التفاوت ، بل هو دليل على تفاوت العقل الغريزي أيضاً لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قرر أن جنس النساء فيه نقصان العقل ، وهذا لا يكون إلا في الغريزة التي خلقن بها، ولأن التـفـــاوت فـي الـجـانب الكسبي فرع عن التفاوت في الجانب الغريزي.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : »الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة ، وهو ظاهر مذهب أحمد، وأصح الروايتين عنه، وقول أكثر أصحابه ، أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان«(14).

مكان العقل :

اختلف أهل العلم في مكان العقل من جسم الإنسان، فقالت الأحناف والحنابلة وهو مذهب المعتزلة: إن العقل محله الدماغ ، أي الرأس، ودليلهم : أنه إذا ضرب الرأس ضربة قوية زلزل معها العقل، وقالوا - أيضاً -:إن العرب تقول للعاقل، وافر الدماغ،ولضعيف العقل، خفيف الدماغ ، وهو محل الإحساس.
وقالت المالكية والشافعية: محله القلب ، وعليه بعض الحنابلة ، ونسب إلى الأطباء(15)، وصـحـحـه الباجي ودليلهم قوله تعالى : ((فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا))[الحج:46] فأضاف منفعة كل عضو إليه ؛ فمنفعة القلب التعقل كما أن منفعة الأذن السمع ؛ وقد تقدم كلام عمر ابن الخطاب في ابن عباس - رضي الله عنهم -: »ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً«.
والتحقيق أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معاً، حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريداً

إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ (16)، ولهذا يمكن أن يقال: إن القلب موطن الهداية ، والدماغ موطن الفكر؛ ولذا قـد يوجد في الناس من فقد عـقـــــل الهداية - الذي محله القلب - واكتسب عقل الفكر والنظر - الذي محله الدماغ - كما قد توجد ضد هذه الحال.

الهوامش :

1- انظر: لسان العرب 11/458 وما بعدها مادة : عقل ، والقاموس المحيط وما بعدها مادة : عقل.
2 - رواه الحاكم في مستدركه 3/ 539 وقال عنه الذهبي : منقطع.
3- انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد بن محمد الغزالي 1/85-86 ، ومجموع فتاوى ابن تيمية 9/287 ، 305 ، 16/336، ودرء تعارض العقل والنقل 1/89 والمسودة ص: 558-559، والذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص:93 والفقيه والمتفقهه للخطيب البغدادي 2/20 .
4- وقـد أشـــار ابن تيمية - رحمه الله - إلى هذا المعنى في أكثر من موضع من مصنفاته، وذلك لأهـمـيـته ، إذ هو ثمرة العقل وفائدته ، فلا عقل لمن لم يعمل بموجب ما هداه إليه عقله ، والعقل السليم يدعو إلى الإيمان بالله ورسالاته ، فمن خالف ما جاءت به الرسل فقد خالف عقله رغم ادعائه أنه من أرباب العقول، وأساطين الفهم، فالمشركون - مثلاً - عرفوا توحيد الربوبية، ولم يلتزموا بلازمه، الذي هو توحيد الألوهية، رغم التلازم العقلي الفطري بينهما، وأهــل الـكـتـابـيـن أيضاً عرفوا صدق الرسالة، وصحة النبوة - كما يعرفون أبناءهم - ولكنهم لم ينقادوا إلى ذلك؛ فـكـانـوا كـمـثــل الحمار يحمل أسفاراً.
5- كتاب المخصص لابن سيده : المجلد الأول - السفر الثالث ص : 16 المكتب التجاري - بيروت (بلا تاريخ).
6 - الذريعة للراغب ص 96.
7- انظر: (كتاب الحدود) لابن سينا ص : 12-13 .
8- انظر مجموع الفتاوى 18/338 ، وقد روى المتكلمون في ذلك حديثاً هذا نصه : »أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل ، فأقبل، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، بك آخذ وبك أعطي، وبـك أثـيـب وبـــك أعاقب« انظر: الذريعة للراغب ص : 92 ، وهذا الحديث - كذب موضوع باتفاق أهل الحديث ، ولا يوجد في الكتب المعروفة المعتمدة ، والذي فيها - على علته - فهو بلفظ :»أولَ ما خلق الله العقل ، بفتح »أول« لا ضمه ، أي أن الله (تعالى) قال ذلك في أول أوقات خلق العقل ، لا أنه أول المخلوقات ، لكن الفلاسفة ، ومن شايعهم من باطنية الشيعة ، والمتصوفة ، والمتكلمة ، أبوا إلا أن يرووه بالضم ليوافق هواهم.

9- انظر: شرح الكوكب المنير لأبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي ص :25.
10- مقال عن المنهج - رينيه ديكارت - ترجمة : محمود محمد الخضيري ص: 3-4 .
11- مع أن كون العلم ضرورياً أو نظرياً هو من المسائل الإضافية النسبية ، والتي يختلف فيها الناس ، فقد يكون ضرورياً عند زيد مـــا هو نظري عند عمرو ، فالعلم وإن كان ضرورياً في نفسه ، فقد يصبح نظرياً من جهة تعلقه بشخص ما ، لسبب ما.
12- انظر الاعتصام 2/322.
13- صحيح البخاري 1/405.
14- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 10/721-722.
15- انظر: شرح الكوكب المنير ص 24 ، وهم الأطباء المتقدمون ، أما المعاصرون فلا أتصور موافقتهم على ذلك.
16- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 9/304 .

الأفكار أساس التغيير

محمد محمد بدري

تنطلق أي أمة من الأمم فـي دربـها الحضاري من مجموعة الأفكار التي على أساسها تشيد الأمة صرح حضارتها ، ويقدم الواقـع شـواهـد عديدة على أن سلوك الأفراد في مجتمع من المجتمعات ما هو إلا الترجمة العملية لما يؤمنون به من أفكار ، ولهذا نجد أن المجتمعات تتقدم أو تتخلف تبعاً لنوعية الأفكار التي يعـتـنـقـها أفرادها »فصحة المجتمعات أو مرضها أسـاسـهـمـا صحة الفكر أو مرضه«(1) و»المجتمعات التي تدور في فلك الأفكار الصحـيـحـة، تتفوق على تـلـك التي تدور في فلك الأفكار الخاطئة ، كما كانت حال الأمة المسلمة الأولى في صدر الإسلام وتفوقها على مجتمعات الرومان والفرس وغيرها«(2).

ومعلوم أن جـزيـرة الـعـرب لم يـكـن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة ، حتى إذا جاءت أفكار الـرسـالــة ، تحــول الرجال الذين لا يزالون في بداوتهم والقبائل ذات الحياة الراكدة.. تحول هؤلاء إلى رجال يحملون للعالم الحضارة ويقودون فيه التقدم والرقي. فماذا دخل حياة المجتمع العربي يومـئـذ؟ »لم يدخـل حـيـاتـه عامل جديد ينقـلـه تلك النقلة الهائلة في كل جانب من جوانب الحياة ، إلا ذلك التصور الاعـتـقـادي الجديـد .. ذلك التصور الذي جاء إلى عالم الإنسان بقدر من الله ، والذي انبثق منه ميلاد للإنسان جديد«(3).

فهناك فكرة قد تجعل إنساناً ينحني ويسجد لصنم من الحجر، وفكرة أخرى تجعل إنساناً آخر يحمل الفأس ليكسر ذلك الصنم!! ولأن الأفكار بهذا القدر من الأهمية، فإنه ومنذ أن تقرر في أوكار الصهيونية تدمير الخلافة الإسلامية، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل المسلم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقومون برصد الأفكار الفعالة التي تحاول إحياء الأمة ، لكي يقضوا عليها في مهدها أو يحتووها قبل أن تصل إلى جماهير الأمة فتصحح وجهتها أو تعدل انحـرافــات أفرادها ، ولتبقى الجماهير إذا اجتمعت تجتمع على أساس العاطفة وتحت سلطانها، ولـيـس عـلـى أسـاس (الفكرة.. والمبدأ)..
ومن هنا كانت مخططات أعداء الإسلام »لاحتواء وتدمير الأمة الإسلامية تهدف دائماً إلى هزيمة الأمة (فكرياً) ، لأن هزيمة الأمة في أفكارها تجرّدها من الحصانة وتتركها فريسة لأي مرض أو وباء فيسهل بعد ذلك احتواؤها وتفكيك معتقداتها«(4).
وإذن فالمعركة بين الأمة الإسلامية ، وأعدائها.. ليست معركة واحدة في ميدان الحرب ، بل هي معركة في ميدانين .. ميدان الحرب ، وميدان الفكر.. والأعداء حريصون في ميدان الفكر على (احتلال) عالم (الأفكار) في أمتنا، وحـريـصـون فـي نفـس الـوقـت على توزيع (نفاياتهم) الفكرية من أفكار اللغو كاشعار الغزل والقصص الجنسي والأدب الـعـاري.. وما إلـى ذلك ، حريصون على توزيع هذه النفايات إلى أمتنا ، لأنهم يعلمون أن الأمــة الـتـي تـنـتـشـر فيها هذه الأفكار الفاسدة تصبح غثاء تدور به »الدوامات السياسية العالمية ، ولا يملك نفسه عن الدوران ولا يختار حتى المكان الذي يدور فيه ، وهذا ما أخبر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحذر منه : »يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال : إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل«(5).
إن أحاطة عدونا بنا، ووصولنا إلى مرحلة الشتات والفرقة،ودخول أمتنا مرحلة (القصعة).. كل ذلك »دليل على وجود خلل في البنية الفكرية والطروحات العقيدية التي أثمرته ، مهما كانت دعاوانا عريضة ، وأصواتنا مرتفعة بالادعاء أننا على النهج السليم«(6) ، ولذلك فإن العاملين في ميدان (إحياء) الأمة لا بد لهم من التمييز بين (أسباب) مرض أمتنا و(أعراض) هذا المرض، فالأسباب في الحقيقة (فكرية) أساسها المعتقدات والقيم والأفكار، أما الأعراض فهي سياسية واقتصادية واجتماعية.. ، ومن هنا فإن بداية أي تغيير لا بد أن تحدث في الأفكار ، وبقدر ما تملك الأفكار رصيداً قوياً من الاستجابة لدى الأمة وتغييراً ملحوظاً في مجال سلوكيات أفرادها وعلاقاتهم الاجتماعية ، ستتحول هذه الأفكار ثقافة معطاءة يمكن أن نقول إنها تشكل نقطة البدء في التغيير المنشود.

الهوامش :

1- هكذا ظهر جيل صلاح الدين - د. ماجد عرسان الكيلاني ص 247.
2- إخراج الامة المسلمة - د. ماجد الكيلاني ص 88.
3- مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب ص 22 .
4- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية-- عبد الله الشبانة ص 17.
5-واقعنا المعاصر - محمد قطب ص 356.
6- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي - عمر عبيد حسنة ص 25.

عندما يئن العفاف
صرخة مسلمة من بلاد البوسنة والهرسك

شعر: عبد الرحمن العشماوي

أطرقت حتى ملّني الإطراقُ ... وبكيت حتى احمرَّت الأحداقُ
سامرتُ نجم الليل حتى غاب عن ... عيني، وهدَّ عزيمتي الإرهاقُ
يأتي الظلام وتنجلي أطرافه ... عنا، وما للنوم فيه مذاقُ
سهرٌ يؤرقني ففي قلبي الأسى ... يغلي، وفي أهدابي الحُرَّاقُ
سيّان عندي ليلنا ونهارُنا ... فالموج في بحريهما صفَّاقُ
قتلٌ وتشريدٌ وهَتْكُ محارمٍ ... فينا، وكأس الحادثاتِ دهاقُ
أنا قصة صاغ الأنين حروفها ... ولها من الألم الدَّفين سياقُ
أنا أيها الأحباب مسلمةٌ لها ... قلبٌ إلى شرع الهدى توَّاقُ
دفن الشيوعيون نَبْعَ كرامتي ... دهراً، وطارت حولي الأطباقُ
حتى إذا انكشف الغطاء وغرَّدتْ ... آمالنا، وبدا لنا الإشراقُ
وقف الصليب على الطريق فلا تسل ... عما جناه القتلُ والإحراقُ
وحشيَّة يقف الخيالُ أمامها ... متضائلاً، وتمجُّها الأذواقُ
أطفالنا ناموا على أحلامهم ... وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
يبكون، كلاَّ، بل بكت أعماقهم ... ولقد تجود بدمعها الأعماقُ
أطفالنا بيعوا، وأوربا التي ... تشري، ففيها راجت الأسواقُ
أين النظام العالمي أما له ... أثرٌ، ألم تنعق به الأبواقُ
أين السلام العالمي لقد بدا ... كذبُ السلام ، وزاغت الأحداقُ
يا »مجلس الخوف« الذي في ظله ... كُسِر الأمان، وضُيِّع الميثاقُ
أو ما يحركك الذي يجري لنا ... أوما يثيرك جرحنا الدّفاق؟!
يُعفى عن الصرب الذين تجبروا ... وطغوا ، ويُفْرَدُ بالعقاب عراقُ
هذا وربك شر ما سمعت به ... أذنٌ وما كُتبت به الأوراقُ
سرج العدالةِ مال فوق حصانها ... ولوى العِنانَ إلى الوراء نفاق
كُشِفَ الستار وبان كلُّ مُخبَّأٍ ... فإلى متى تتطامن الأعناقُ

أنا أيها الأحباب مسلمةً طوى أحلامَها الأوباش والفسّاقُ
أخذوا صغيري وهو يرفع صوتَه »أميِّ« وفي نظراته إشفاقُ
ولدي؛ ويصفعني الدعيُّ ويكتوي قلبي، ويُحْكِمُ بابيَ الإِغلاقُ
ولدي ، وتبلغني بقايا صرخةٍ مخنوقةٍ ، ويُقهقه الأفّاقَ
ويجرُّني وغدٌ إلى سردابه قسراً، وتُظلم حولى الآفاقُ
ويئنُّ في صدري العَفَافُ ويشتكي طُهري ، وتُغمض جفنَها الأخلاقُ
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يُراقُ
عرضي يُدنَّس أين شيمتكم أما فيكم أبيٌّ قَلْبُه خفّاقُ
أختاهُ ، أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تُساقُ
أودتْ بها قوميةٌ مشؤومة وسرى بها نحو الضَّياع رفاقُ
إن كُنْتِ تنتظرينها فسينتهي نَفَقٌ ، وتأتي بعده أنفاقُ
مُدّي إلى الرحمن كفَّ تَضرُّعٍ فلسوف يرفع شأنَك الخلاّقُ
لا تيأسي فأمام قدرة ربِّنا تتضاءَل الأنسَابُ والأعراقُ

الحركة العلمية في الحجاز في العصر الأموي
(2)

د. محمد آمحزون

يتابع الأخ الكاتب في هذه الحلقة الجهود العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي بعد أن استعرض في الحلقة السابقة موضوع التفسير.

الحديث :

وفي هذا العصر برز ما يسمى بعلم الجرح والتعديل أو علم الرجال. وهذا العلم مما انفرد به المسلمون، ولا نظير له عند غيرهم من الأمم. والغرض منه الكشف عن أحوال رواة السنة، وتمييز الصادق من الكاذب ، والضابط من الواهم ، والموثوق بروايته من المطعون فيها. وقد كان السبب في إنشاء هذا العلم الجليل أنه في أعقاب الفتن التي شهدها العصر الأموي(1) ظهرت الفرق ذات الآراء السياسية المتعارضة والأهواء المذهبية المتعصبة، ففشا الكذب، وظهر الوضع، ولجأ أتباع هذه الفرق إلى الوضع في الحديث والأخبار. وهذا ما جعل العلماء يؤكدون على ضرورة التثبت في مصادر الرواية ويسألون عن الرجال الذين اشتركوا في نقلها.

وفي هذا الشأن يقول ابن سيرين (المتوفى سنة 110هـ): »لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة(2) قالوا: سموا لنا رجالكم فلينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ؛ وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم«(3). ومما

يدل على ذلك أيضاً قول ابن عباس - رضي الله عنه -: »إنا كنا نحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه«(4). فعبر هنا ابن عباس عن الفتن بقوله ركوب الناس الصعب والذلول ، ولذا كان لا يقبل إلا ما يعرف.

وقد تكلم عدد من التابعين في الجرح والتعديل مثل سعيد بن المسيب (المتوفى سنة 94 هـ) ومحمد بن مسلم الزهري (المتوفى سنة 124هـ) وعامر الشعبي (المتوفى سنة 103هـ). وكان كل منهم بمثابة نواة لنشأة مادة واسعة في علم الرجال يتداولها العلماء والنقاد في العصور التالية(5).

وتميزت تلك الفترة بنشاط الرحلة في طلب العلم ، وذلك لبروز عامل جديد يحفز الطلاب إلى الرحلة ، ذلك هو طلب الإسناد العالي ؛ فهو أخصر طرق الحديث المتصلة. فبدلاً من أن يأخذ التابعي عن تابعي يرغب بدوره أن يأخذ عن صحابي ، فيرحل إلى ذلك الصحابي فيروي عنه الحديث مباشرة، كما كان لظهور الوضع في الحديث أثر في تنشيط هذه الرحلات العلمية طلباً للحديث من مظانه ، وتدقيقاً لمصادره ، وبحثاً عن أصوله ، وتحرياً عن رواته. وكان أغلب هؤلاء في المدينة المنورة قلب المجتمع الإسلامي النابض، والتي طبعت بحكم مركزها بطابع خاص في الحديث والرواية ، وعرفت بالتدقيق والصرامة.

فهذا أبو قلابة عبد الله بن زيد البصري (المتوفى سنة 104هـ) يقيم في المدينة ثلاثة أيام ما له حاجة إلا رجل كانوا يتوقعون قدومه كان يروي حديثاً ، فأقام حتى قدم وسأله عن الحديث(6). وحدث عامر الشعبي رجلاً بحديث ثم قال له : »أعطيناكها بغير شيء ، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة«(7). وعن أبي العالية الرياحي (المتوفى سنة 95هـ) قال: »كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم«(8). ولم تكن المدينة المنورة هي المعقل الوحيد للرواية، وإن كانت تحتل الصدارة في هذا الباب، بل قصد طلاب العلم بلداناً ومدناً أخرى مثل مكة والطائف واليمامة وصنعاء(9)، وذلك بسبب انتشار الصحابة في الأمصار.

وفي الواقع، كان للرحلة أثر في شيوع علم السنة وتكثير طرق الحديث ، كما كان لها أثر في معرفة الرجال بصورة دقيقة، لأن المحدث يذهب إلى البلدة فيتعرف على علمائها ويخالطهم ويسألهم. ولولا الرحلة في طلب العلم لوجد لكل مدينة طابعها الخاص المميز لها، مما يسبب العزلة العلمية ، ويذكي العصبية المحلية بين العلماء باتساع الخلاف على الأحكام. ولكن الحيوية والروح العلمية التي تحلى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية.

على أن أولئك المحدثين لم يهتموا - مع الأسف - بتدوين أخبار الرحلات وأوصاف المدن التي شدوا الرحال إليها ، ولو فعلوا ذلك لقدموا معلومات غزيرة ومفيدة كتلك التي نجدها في كتب الرحلات المتأخرة مثل رحلة ابن جبير وابن بطوطة.
ومن مميزات ذلك العصر من الناحية العلمية الاهتمام بكتابة الحديث النبوي وتدوينه ، وذلك خلافاً لما يعتقده بعض المستشرقين مثل جولد تسيهر وبلاشير اللذين رفضا صحة الأخبار المتعلقة بكتابة الحديث وتدوينه في تلك الفترة المبكرة ، فجعلا زمن بداية جمع الحديث أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الهجري(10).
ومعنى هذا الرأي أن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه إلى التدوين والكتابة في فترة مبكرة مثل القرن الأول وسنرى من خلال عرض تاريخ الكتابة والتدوين عند المسلمين أن الرأي الذي جرّد العرب في العصر الأموي من التصنيف والكتابة ، وجعل صدر الدولة العباسية مبدأ العلم والثقافة والتدوين عند العرب هو رأي أملاه الهوى وعدم الـمـوضـوعـيـة.
وحتى إذا افترضنا أن أصحاب هذا الرأي لهم نوايا حسنة ، فإنهم حين يحاولون فهم التاريخ الإسلامي على غير صورته فهم مخطئون فيما ذهبوا إليه.
لقد عرف الـمـسـلـمـون طرقاً متنوعة لتحمل أو تلقي العلم ، وهذا الجانب بحد ذاته سمة متميزة تنفرد بها الحضارة الإسلامية ، ولا يعرف لها في الحضارات الأخرى شبيه. وهذا سبب أساسي لما حدث من لبس وسوء فهم في الدراسات الاستشراقية الحديثة. ففي كتب مصطلح الحديث يرد ذكـر أصـنـاف طرق تحمل العلم وهي متنوعة منها: السماع والقراءة والإجازة والمناولة والكتابة والوصية والوجادة. وفي كل الحالات المذكورة ليس الحفظ أمراً ضرورياً إلا في الحالتين الأوليين وهما السماع والقراءة.
فـهـذا أبو هريرة (المتوفى سنة 59هـ) رغم اشتهاره بقوة الذاكرة يبدو مع ذلك أنه قد أعد للرواية بعض الصحف. روى تلميذه بشير بن نهيك عنه قال: كتبت عن أبي هريرة كتاباً، فلما أردت أن أفارقه قلت : يا أبا هريرة! إني كتبت عنك كتاباً ، فأرويه عنك؟ قال : نعم اروه عـنـي(11). وكـان عـبـد الله بن عـمـر بـن الخطاب (المتوفى سنة 74 هـ) يكتب الأحاديث النبوية في رسائله(12) وكانت عنده كـتـب فـي الـعـلـم ينظر فيها. نقل إبراهيم الصائغ عن نافع أن ابن عمر كانت له كتب ينظر فيها ، يعني في العلم (13). أما أنس بن مالك (المتوفى سنة 94 هـ) فكان يحث أولاده على كتابة العلوم ويقول لهم : »يا بني قيدوا العلم بالكتاب«(14) ، حتى نقل عنه أنه كان لا يعد عالماً من لم يكتب علمه (15).
وتخبرنـا المصادر في مواضيع كثيرة عن كيفية التدوين وطريقة النسخ في ذلك الوقت ؛ قال سعيد بن جبير إنه كان يكتب عند عبد الله بن عباس على

الألواح حتى يملأها(16). وروى أحد الـتابـعـيـن أنه رأى طلاب العلم في مجلس البراء بن عازب الأنصاري (المتوفى سنة 72 هـ/691 م) وهم يكتبون على أكفهم بالقصب (17).
وفي ضوء بعض الأمثلة في جيل التابعين يتضح بجلاء ما أبداه هؤلاء من هـمـة فـي الكتابة، وكيف أنها كانت عادة معروفة في زمنهم، عكس ما يتوهمه بعض الباحثين من أن الاعتماد فـي الـنقــل عـنـد المـحـدثـيـن مــدى قـرن ونصف كان على الذاكرة فقط، وعلى المشافهة بالتحديث، حتى اتخذه أعداء السنة سُلَّماً للـطـعـن فيها. لقد كانت الكتابة عند التابعين إحدى طرق تلقي العلم المألوفة بجانب السماع والـقــراءة. وفي هذا الصدد يروي أحمد ابن حنبل أن الحكم بن عتيبة (المتوفى سنة 113 هـ) أخـــذ عن مقـسـم بن بجرة (المتوفى سنة 101هـ) أربعة أحاديث سماعاً ، أما سائر مروياته فقد أخذها كتابــة(18). وذكر ابن أبي حـاتم أن أحاديث عبد الأعلى عن محمد ابن الحنيفة (المتوفى سـنة 73 هـ) كـانـت مــن كتاب ، ثم يؤكد ذلك بقوله : »قلت يعني أنها ليس بسماع«(19).
وغالباً ما نجد في المصادر معلومات عن استعارة الكتب في ذلك الوقت! حيث استعار حيدر الطويل كتب الحسن البصري (المتوفى سنة 110هـ) فنسخها وردها عليه(20). كما استعار الليث بن أبي سليم كتاباً من حسن ابن مسلم (المتوفى سنة 106هـ) ، وقال هِزْر أخو حسن بن مسلم لرجل: »إذا قدمت فعرِّج على ليث بن ألي سليم وقل له حتى يرد كتاب ابن حسن بن مسلم فـإنـه أخـذه مـنـه«(21). وذكر معمر بن راشد أنه نسخ كراستين حول المغازي عن التابعي عثمان الجزري المشهور بعثمان المشاهد ، استعيرا منه ولم يعودا(22).
وقد سعى بعض الحكام الأمـويين إلـى جمـع الحـديـث وتدوينه ، ويعد مروان ابن الحكم (المتوفى سنة 65هـ) أول وال أموي أراد أن يحفظ مـعـارف مشاهير الصحابة ويصونها من الضياع. فيروى أنه استقدم زيد بن ثابت - رضي الله عنه - عندما كان عاملاً على المدينة ، وطرح عليه أسئلة والكتاب جالسون خلف ستر يدونون الإجابات(23). وكتب ابنه عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً على مصر(24) إلـى الـتـابـعـي كُثَيِّر بن مُرّة الـحـضـرمي (الـمـتـوفـى سنة75 هـ) أن يكتب له ما سمعه من أحاديث الصحابة سوى أبي هريرة لأن حديثه كان مجموعاً عنده(25). ثم جاء حفيده عمر بن عبد العزيز بن مروان إلى الخلافة ، فكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن حزم : »انظر ما كان من حديث رسول الله -صلى الله عـلـيه وسلم- أو سـنـة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله«(26). وأراد منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية (المتوفاة سنة 98 هـ)

والقاسم بن محمد (المتوفى سنة 120هـ)(27) ، لأنهما أعلم الناس بحديث عائشة.
لكن المحاولة الشاملة في الجمع والنسخ قام بها إمام جليل آخر هو محمد ابن شهاب الزهري المدني حيث استجاب لطلب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وكان شغوفاً بجمع الحديث والسيرة ، فجمع حديث المدينة وقدمه إلى عمر بن عبد العزيز الذي بعث إلى كل أرض دفتراً من دفاتره (28).
وكان لهذه الجهود أثر كبير في حفظ السنة ومنع التلاعب فيها ، كما مهدت الطريق للعلماء المصنفين في القرن الثاني للهجرة ، حيث ازدهرت حركة التدوين ودأب العلماء على ذلك. لكن الفضل في أقدم أشكال تدوين الحديث يرجع بالطبع إلى مرحلة التأسيس في العصر الأموي.

الهوامش :

1 - خليفة: التاريخ ص 234، 236، 252، 254،280 وابن الجوزي: الأحاديث الموضوعة 1/39 .
2- ربما يقصد بالفتنة حركة ابن الزبير عندما أعلن نفسه خليفة (انظر الموطأ كتاب الحج 99). وهذا التفسير قد يتفق مع عمر ابن سيرين الذي كانت ولادته سنة 33هـ/653م) مما يجعله عند حدوث فتنة ابن الزبير - رضي الله عنه - في حدود 72 هـ/ 691م بعمر يمكنه من الكلام بإدراك. وإطلاع عما حدث في هذه الفترة.
3- رواه مسلم في الجامع الصحيح، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ، 1/84 والجوزجاني : أحوال الرجال ، ص 35-36.
4- أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء 1/80 .
5- الحاكم : معرفة علوم الحديث ص 6.
6- الدارمي : السنن 1/136.
7- ابن عبد البر: جامع بيان العلم 1/94.
8- الدارمي : المصدر السابق 1 /136.
9- ابن سعد: المصدر السابق 5/443 ، 503 ، 523 ، 549 .
10- سزكين : المرجع السابق 1/122.
11- الخطيب : تقييد العلم ص 101.
12 - أحمد : المسند 2/45 - 90.
13- البخاري : التاريخ الكبير 1/325.
14- الخطيب : المصدر السابق ص 96.
15- الخطيب : المصدر السابق ص 96.
16- أحمد: العلل 1/50.

17 - الدارمي : المصدر السابق 1/128، والخطيب : المصدر السابق 105.
18- ابن حجر: تهذيب التهذيب 10/220.
19- ابن حجر: المصدر نفسه 6/39.
20- ابن سعد: المصدر السابق 3/39.
21- ابن سعد: المصدر نفسه 5/479.
22- أحمد: العلل 1/5.
23- ابن سعد: المصدر السابق 2/ 361.
24- وليها من سنة65 هـ إلى سنة85 هـ: انظر ابن كثير: البداية والنهاية 9/57.
25- ابن سعد: المصدر السابق 7/448.
26- الدارمي : المصدر السابق 1/126.
27-ابن أبي حاتم : تقدمة المعرفة ص21.
28- ابن عبد البر: جامع بيان العلم 1/76.

مقال

بطرس غالي.. تاريخ وحقائق

أحمد عبد العزيز أبو عامر

تمهيد:

ينتسب د. بطرس غالي إلى الكنيسة القبطية التي يترأسها اليوم شنودة الثالث، ولقد استطاعت هذه الكنيسة في الأربعينات جذب جماهير المثقفين الأقباط حولها واستطاعت أن تحقق نوعاً من الإحياء لدورها.

وفي نهاية الخمسينات وبداية الستينات استطاع النظام الناصري آنذاك ومن خلال مشروعه (القومي) جذب العديد من أبناء الكنيسة القبطية لينخرطوا في صفه ولما كانت تلك الفئات المثقفة تنتمي أصلا في بداية تعليمها غالباً إلى مدارس (الأحد) الكنسية حصل في هذا الجيل اتجاهان :

الأول: من بقي مرتبطاً بالكنيسة أكثر من الدولة والحياة العامة (كشنودة الثالث).

الثاني: من ابتعد عن الكنيسة وارتبط بالدولة ومنهم الصفوة القبطية السياسية والتكنوقراطية مثل (د. ميلاد حنا).

وهناك اتجاه ثالث يحاول الربط بين الكنيسة والدولة في إطار فكري واحد مثل (وليم سليمان قلادة).

ودراسة المسيحية السياسية في مصر تعتمد على عدد محدود من الكتابات يُرى فيها آراء متفرقة أكثر مما نجد رؤية فكرية متكاملة وشاملة ومن هذه الدراسات القليلة كتابات الكاتب القبطي المعروف (د. رفيق حبيب في

بعض كتبه ودراساته المنشورة)(1) وله جهود جيدة في كشف حقيقة الكنيسة ورموزها و(شنودة) غير راض عنه ولا عن والده. وأرجو أن أتناوله وفكره وموقف الكنيسة منه في دراسة قادمة بإذن الله.
والذي يجب أن لا يغيب عن البال هو أن للكنيسة القبطية تنظيماً ونشاطاً كبيراً في الداخل والخارج، ولها جهود كبيرة في كافة الأصعدة، وتشـجـع الـدراسـات التي تبشر بدينهم ، وتنقد الإسلام ، بخاصة تظهر الغبن المزعوم لطائفتهم. وباباهم الحالـي يظهـر عند المقابلة معه دبلوماسية وذكاءً كبيراً وتبرؤاً من كل جهد لهم أو لمنتسبيهم بكل ما يعكر صفو الأمن أو يثير النزعات الطائفية. ولا يعرف له موقف إيجابي ضد الكتب التي تـهـاجـم الإسلام زوراً وبهتاناً مثل: (رسالة المجلس الملي القبطي بالإسكندرية) والتي نقدها وكشف عوارها د. عبد الجليل عيسى ، وكذلك (الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة) لإيسذوروس وكتاب: (بيان الـحـق لـيـاسـيـن منصـور) والذي نقده وفضح مفترياته الأستاذ توفيق علي وهبة. في كتابه: (افتراءات المفترين) وكـتـاب : (تاريخ الكنيسة القبطية) لمنسي يوحنا ، وهو كتاب يحوي تعصباً أعمى قال عنه مبشر ، نصراني لبناني معروف هو (لويس شيخو اليسوعي) بعدما ذكر أخطاءه في كثير من الوقائع والحقائق : إن مؤلف الكتاب كان مدفوعاً في كتابه بعامل التعصب القومي.
ويعلم الجميع أن الصحوة الدينية الشاملة في السنين الأخيرة أيضاً شملت النصارى ، ولذا تم اجتماع مؤخراً في (استانبول) هو الأول من نوعه منذ قرابة الألف سنة بين كبار أساقفة الكـنـيسة الأرثوذكسية في الشرق الأوسط وأفريقيا وأوربا للتصالح بينهم وبين بقية الطوائف المسيحية الأخرى وعلى رأسها كنيسة روما الكاثوليكية، بعد انقطاع دام حوالي 938 سنة، وقد عـبـر الجميع عن تصميمهم على إعطاء دور أكبر للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والتي عانت حـسـب زعـمـهـم الـكـثـيـر من الاضطهاد على أيدي المسلمين مثلما عانت من نير الشيوعية..
هذه التداعيات المسيحية في النهضة الجديدة للكنيسة الأرثوذكسية ومشاركاتها في كثير من الأنشـطـة الاجتماعية وصدور كثير من الكتب والنشرات والصحف والمجلات في الداخل والخارج (2). كـــل ذلك لا شك له أثره ودوره في تنمية الوعي لدى أفرادها وبالتالي إثارة الحمية الدينية في نفـوسـهـم مما ينعكس بالتالي على شعور كل فرد منهم مهما كان توجهه علمانياً مثل د. بطرس بطرس غالي.

نبذة عن حياة بطرس غالي :

هو ابن لإحدى الأسر القبـطـيـة المشهورة والتي كان لها دورها في الحياة السياسية المصرية واشتهرت بعميدها (بطرس غالي بـاشا (1847 - 1910) والذي تولى رئاسة الوزارة في مصر في نوفمبر 1908 وحتى 1910 وقـــد

اغتاله أحد الشباب الوطنيين المصريين وهو (إبراهيم ناصف الورداني) والذي ثأر لبلده مــن ميول المذكور للمستعمر الإنجليزي وعمله لمدّ امتياز القناة للإنجليز ، وقد فشل المشروع بعد اغتيال صاحبه. ووالد المقتول هو (غالي ناروز بك) كان من كبار أقباط بني سويف ومن كـبـــــار أثرياء مصر في عصره ، إذ كان أحد موظفي الدائرة الخاصة للخديوي إسماعيل ، مما أتاح لابنه (بطرس) أن يقضي جانباً من سنوات تعليمه في المدرسة التي أنشأها (مصطفى فاضل) شقيق الخديوي لتعليم أبنائه ومنهم بطرس الحالي حفيد بطرس غالي ناروز والذي ولد سنة 1922م فـي أحـــــد قصور حي (الفجالة) بالقاهرة.. وقد دخــــل كـلـية الحقوق وتخرج منها عام 1946م وحصل على الدكتوراه من جامعة باريس عام 1949م ثـــم عاد إلى القاهرة للعمل أستاذاً للقانون الدولي ثم رئيساً لقسم القانون الدولي بعد ذلك. ثم شـــــارك في تأسيس كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة عام 1962م وأصبح فيما بعد رئيساً لقسم العلوم السياسية بهذه الكلية منذ إنشائها. وفي عام 1977م تولى وزارة الدولـــــة للـشــؤون الخارجية. ومن أبرز أعماله في هذه الفترة مشاركته في الوفد الذي صاحب أنور الـســـادات في عقد الصلح مع العدو الصهيوني ، إذ كان مسؤول الجانب السياسي في مباحـثــات (كامب ديفيد) للسلام من سبتمبر 1978م إلى مارس 1979م (ومعلوم أن زوجته يهوديــة) وبقي في هذا المنصب حتى أصبح نائباً لرئيس الوزراء المصري في أوائل 1991م ، ثم تم اختياره أخيراً أميناً عاماً لهيئة الأمم المتحدة. ولا يغيب عن البال ترأسه لتحرير مجلة (السـيـاســـــــة الدولية) بدءاً من يوليو 1965 وحتى 1991م والتي تعتبر مرجعاً هاماً في العلوم السياســـيـة دراسة وتحليلاً ومتابعة من منظور علماني.

وكتب الكثير من الدراسات السياسية والقانونية في مجال تخصصه ، ومن أشهر مؤلفاته : (الحكومة العالمية) والذي صدر للمرة الأولى عام 1957م ، وأعيد طبعه مؤخراً هذه السنة 1992 م ، والكتاب يدور حول فكرة (الحكومة العالمية) أو إقامة تنظيم دولي لحفظ السلام والأمـــن فـي الـعـالم. حيث قام بدراسة الموضوع من الناحية النظرية في كتابات عدد من المفكرين في المدرسة الأوربية ، والمدرسة الأنجلوسكسونية ، والمدرسة الإسلامية ، وخلال هذه المتابعة التاريخـيـة يرصد نمو الوعي بضرورة وجود تنظيم دولي وبضرورة وجود نظام لتسوية الصراعات والـنـزاعــات بالطرق السلمية لأن الحرب كما نقل : (انتحار جماعي وضرب من ضروب الجنون). ثـم يـنـتـقـــل إلى دراسة لبعض التجارب السابقة في إقامة التنظيمات الدولية بدءاً بالمؤتمر الدولي عـام 1814م وانتهاءاً بهيئة الأمم المتحدة.

هذا التوجه الجميل في البحث عن حكومـــــــة عالمية تحكم العالم وتكفل السلام ، وتوفر الطمأنينة ماذا عمل (بطرس غالي) لتنفيذها حينما آلت إليه

مقاليد هيئة الأمم ؟ مما يؤسف له أن ذلك الكلام تبخر وصار أثراً بعد عين وظهرت ميول عجيبة وغريبة لا يمكن بحال من الأحوال تفسيرها بغير (الميول الصليبية الكامنة في لا شعوره) في مواقفه اللامبالية من مأساة (دولـــــة البوسنة والهرسك) وعدوان الصرب الهمجي عليهم والذي لم يعد يجهله أحد، وشكّل أعـنـف عـــدوان إجرامي في العصور الحديثة. لا سيما إذا عرفنا أن الرجل (أرثوذكسي) العقيدة ، وإخوانه الصرب على نفس المذهب ، والموقف البارد الذي يعالج به هذه القضية كما سنرى لا يمكن تفسيره بغير ما في ذكرته،فهو رجل سياسي عرف السياسة نظرياً وتطبيقياً. وله أفكاره حيال معالجة الصراعات والأوضاع العالمية السابقة لكنه حيال هذه المأساة عطلها وأعطى المعتدين الصرب الفرصة لاستـئـصـــــال المسلمين هناك في وضح النهار.
فمنذ بدأت جمهورية البوسنة والهــرسك بالانفصال وإعلان استقلالها كان له موقف سلبي حيالها لا سيما حينما بدأ الـصــرب الصليبيون مواقفهم العدوانية من تلك الدولة الجديدة التي يرونها جزءاً لا يتجزأ من (صربـيــــا الكبرى) وحصل من الفجائع والمآسي للمسلمين هناك ما نقلته وكالات الأنباء ، وأثار دهـشـــــة كل الناس للطرق العدوانية التي يتعاملون بها. ومواقف (الأمين العام الجديد) تمثلت فيما يلي.
1 - استبعد أول الأمر إرسال قوات دولية لحفظ السلام في البوسنة والهرسك حتى قبل أن يُقدَّم اقتراح بهذا الشأن ، وبادر بإصدار تقرير متسرع مباشرة بعد فرض العقوبات الدولية على (دولة صربيا) لإراقتها الدماء البريئة في البوسنة والهرسك.
2- رفض بطرس غالي اتفاق لندن بشأن وضع الأسلحة الثقيلة بين الأطراف المتناحرة تحت إشراف الأمم المتحدة مع العلم أن الأسلحة الثقيلــة بيد الصرب ، والمسلمون ليس بأيديهم سوى أسلحة خفيفة مما أثار مشكلة مع (اللورد كارنجتون) وسيط هيئة الأمم المتحدة الذي أشرف علي إبرام الاتفاق حينما زعم بطرس أن وقـــــف إطلاق النار جرى التفاوض بشأنه بصورة متعجلة للغاية ، وأنه يقضي بنشر عدد من مراقـبـي هـيـئة الأمم المتحدة يزيد عما كان مخططاً له في الأصل ، وقد رفض (كارنجتون) الانتقادات البطـرسـية وقال : إن وقف إطلاق النار قد صدر عن الأطراف المتحاربة نفسها وأنه فقط قام بنقل الاقـــتــراح فيما بين الأطراف ، وقال : سيكون من الأفضل ممارسة ضغط أكبر على المتحاربين، إلى أن قال : إنه لا يعتقد أنه بوسع المرء أن ينبذ بصورة كاملة وقف إطلاق النار الراهن.
3- مـعـــارضته في إرسال المزيد من القوات الدولية إلى البوسنة والهرسك الأمر الذي أخر اتخاذ مجلس الأمن قراراً بشأن خطة المجموعة الأوربية التي تقضي بنزع سلاح الأطراف المتحاربــــة. لكن بطرس اقترح أن تساهم

منظمات إقليمية أوربية في تمويل المهمة وتوفير المعدات والأفـــراد. بل ربما تتولى المهمة برمتها متعللاً بنقص موارد هيئة الأمم المتحدة ، وأهمية معالجة قـضــايـــا أفريقيا كالصومال بنفس الاهتمام ، ولا ندري كيف حصل هذا الاهتمام الجديد فجأة بقضية الصومال التي مزقتها الحروب الأهلية منذ ما يقارب السنة ولم ينتبه الأمين العام لها إلا يوم بدت الحاجة الماسة لإنقاذ مسلمي البوسنة والهرسك من الحرب الصليبية التي يشنها عليهم الصرب بكل غطرسة وعنجهية. فهل القصد الاهتمام بالصومال أم التساهل مع الصرب حتى يتم لهم ما يهدفون إليه من التـطـهـيـر الـعــرقـي المزعوم. والذي يقومون به على مسمع العالم وبصره.
4- وبعد تلك المواقف اللا إنسانية من هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام شـــــن عــدد من الصحف الغربية والبريطانية منها بخاصة هجوماً على بطرس غالي وانتقدت تصرفاتـه غير المسؤولة ، وأسلوبه في التعامل مع قرارات مجلس الأمن. بل وتغيبه عن حضور جلـســات مناقشة قضية البوسنة ، ونقلت صحيفة اللوموند (الفرنسية) أن أحد أعضاء مجلس الأمـن علق قائلاً بأن (بطرس غالي) عارض منذ تعيينه في منصبه أي تدخل إضافي للأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ، وقال آخر: إن مزاج بطرس غالي متوعك تجاه هذه القضية التي تعتبر في غاية المأساوية ، وأنه في غايـــة الـدهـشـة لهذا الموقف إزاء مأساة تدور أحداثها أمام أعيننا. وإزاء هذا الهجوم عليه لا سيما من الـصـحــف البريطانية استطاع (غالي) أن يلمز بريطانيا بعد خلافه مع مندوبها (ديفيد هاناي) إذ قال في معرض شرحه لأسباب الهجوم عليه ربما لانه دخيل مما أثار ضجة في الأوساط الإعــلامـيـــة والسياسية الإنجليزية لأن المرادف لكلمة (دخيل) كما استخدمها (غالي) لفظ جارح ، وكان يستخدم سابقاً للإشارة إلى مواطني الدول الآسيوية المستعمرة من قبل الإنجليز مما يجـــدد ذكــريــات مؤلمة عن ذلك الاستعمار ، مما دعا وزير خارجية بريطانيا (هيرد) في مقابلة مع (بي. بي. سي) إلى الثناء على الأمين العام ، وقال المراقبون في لندن : إن تصريح (هيرد) هذا بمثابة اعتذار الغرض منه غلق هذا الملف.
إن مـلـف بـطـرس غالي وموقفه المشين من قضية العدوان الصربي على المسلمين في البوسنة والهرسك سيظل مفتوحاً يظهر منه مدى الإهمال واللامبالاة من وقف المعتدين عند حدهم. لو كان ما يحــدث للمسلمين هناك حل بغيرهم من المسيحيين أو غيرهم كاليهود مثلاً ماذا سيكون موقف الأمـم المـتـحـدة وأمينها العام يا ترى؟ لا بد حينئذ أن تعلن الطوارئ وتقوم هيئات حقوق الإنسان بإعلانـاتهـا المتشنجة حيال وأد حقوق أولئك المعتدى عليهم أما وأن الضحايا مسلمون فلا حياة لمن تنادي.

ولقد قال مفتي البوسنة والهرسك حــيـال المــواقـف المشينة للأمين العام للأمم المتحدة من قضية بلاده : إن موقف الأمين العام بطرس غالي مـن قضية شعبي غريب ومدهش. فأولاً : بلادي دولة مستقلة معترف بها دولياً، وثانـيـــاً: إن ما حـــدث من الصرب اعتداء واضح وصريح على الشرعية الدولية وتدخل في شؤون دولة أخرى، وثالثاً: إن ما يقوم به الصرب ليس اعتداءً على شعبي وبلادي فقط ولكنه اعتداء بشع على الإنسانية جمعاء، وأنـهـــم طـالـبـوا بقوات دولية لحفظ السلام ، والضغط دولياً من خلال المنظمة الدولية على صربيا ولكن للأســـف فوجئوا بموقف الأمين العام السلبي ، وتساءل : كيف يكون للأمم المتحدة دور في الحمـايــة ومـنـع الـتـدخــل كما حصل في بعض المواقع الملتهبة وتمتنع عن اتخاذ إجراءات ناجعة حينما وقع الاعـتــداء عـلـى شعبه؟! وما زال مجلس الأمن يناقش مدى إمكانية إرسال قوة عسكرية لحماية المعونات الإنسانية ولم يتفقوا بعد ، أما حماية البشر فهذا بعيد فيما يظهر.
ثـانـيــاً: ليس هذا هو الموقف السلبي الوحيد لبطرس غالي من قضايا المسلمين ، فموقفه من قضية المـسـلمين في قبرص لا يقل غرابة ، فالمسلمون هناك كانوا الأكثرية في الجزيرة ولكن ببركات بريطانيا والتي فتحت أبواب الجزيرة لليونانيين حتى صار المسلمون أقلية.. وتعرضوا لحرب إبادة من أولئك الطارئين وكان لزعيمهم الهالك (المطران مكاريوس) دور في حــــــرب الإبـادة ضد مسلمي الجزيرة. ويتماسك المسلمون تحت قيادة الأستاذ (رؤوف دنكطاش) ولم يحمهم بعد الله من استئصال عصابات النصارى إلا تدخل الجيش التركي عام 1973م حينما كان نجم الدين أربكان نائباً لرئيس الوزراء التركي ، حينها استصدر أمراً باجتياح شمال قبرص لحماية المسلمين القبارصة وبهذا المنطلق الذي لا يعرف الأعداء سواه قامت دولتهم شمال قبرص والتي لم تحظَ بعد باعتراف دولي سوى من تركيا نفسها ، نجد (بطرس غالي) يطالب الزعيم المسلم بالتخلي عن الجزء القائم باسم المسلمين - ويشكل (1/4) الجزيرة - لصالح اليونانيين. وحاول أن يمارس ضغوطاً قوية في سبيل تنفيذ ذلك ، فدعا الــدول الـدائـمـة العضوية في مجلس الأمن إلى دعم المساعي الرامية إلى الخروج مما أسماه (الطريق المـسـدود) الذي وصلت إليه المفاوضات حالياً لحل المشكلة القبرصية. بينما الحكومة القبرصية الصليبية تحظى بتأييد دول العالم قاطبة ودعمها ، وهي أبعد ما تكون إنصافاً وعدلاً مع قـطـــــاع كبير من الشعب القبرصي المسلم. فبماذا نعلل هذا الموقف من (بطرس غالي) حيال مسلمي قبرص؟ ولماذا لا يكون الحل الجذري للجميع لينال المظلومون حقوقهم ، لكن العـجــب يزول إذا عرفنا أن نصارى اليونان وقبرص كلهم من الأرثوذكس وإذا عرف السبب بطل العجب.

ثالثاً: الموقف المتناقض مــن القرار 242 حول قضية الشعب الفلسطيني المسلم. ونحن بادئ ذي بدء نرفض عملية الســلام مع العدو الصهيوني لما يترتب على السلام معهم من أخطار عقدية وسياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية لا يتسع المجال لذكرها ، ويمكن الرجوع إلى كتيب (لماذا نرفض السلام مع اليهود) للأستاذ محسن عنبتاوي لكن ما يثير العجب أن القرار 242 الذي قبلته الــدول العربية بعد نكسة 1967 كان لبطرس غالي رأيه المتشدد في إلزاميته لليهود في دراسة علمـيــة له نشرها في مجلة (السياسة الدولية) العدد (42) وهي دراسة تستحق أن تكون أساساً للـرد على أي دعوى ترى عدم إلزامية ذلك القرار ، لكننا فوجئنا بتغيير رأيه في مدى إلزامية القرار للعدو في مؤتمر للأمين العام في 20 مارس الماضي والذي عكس فيه رأيه رأساً على عقب داعياً إلى أن القرار غير ملزم للعدو الصهيوني.
رابعاً: وحيال مأساة المسلمين في بورمـــــا والتي تمثل نموذجاً للمآسي التاريخية في عصر (النظام العالمي الجديد) لما عانوه من قتل وتشريد واضطهاد ، حيث هرب مئات الألوف من بورما إلى دولة فقيرة هي بنجلادش. ولم يـتـخـــذ حـيـــال العصابة الشيوعية الحاكمة في (رانجون) أي موقف صارم يوقفها عند حدها لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، إنها مأساة شعب يشكو إلى الله غفلة إخوانه المسلمين ومؤامرة الدول الكبرى وبخاصة صـنـــاع النظام العالمي الجديد.

المراجع:

1- المسيحية السياسية في مصر ، د. رفيق حبيب.
2- ومن أهم صحفهم في مصر (الكرازة) دينية الطابع و (وطني) ذات طابع سياسي.
3- الحكومة العالمية ، د.بطرس غالي.
4- المجتمع العدد 996 والعدد 1010.
5- الشرق الأوسط 4985 ، 4999.
6- الدعوة العدد 1351.
7- السياسة الدولية العدد 108.

مقابلة مع :الشيخ أحمد قاضي والشيخ محمد حاج

بعد سـقـوط الاتحاد السوفييتي قام المسلمون في كافة الجمهوريات الوليدة بالسعي لاستعادة هويتهم، وانبـرى الـدعــاة والعلمـاء لأخذ دورهم الهام في إعادة الناس إلى استئناف الحياة الإسلامية التي فصلوا عنها زماناً طويلاً، ومن جهود العلماء المسلمين في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) تأسيس حزب النهضة

الإسلامي ، الذي يعد أكبر تجمع للمسلمين. ونلتقي في هذه المناسبة برئيس الحزب الدكتور أحمد قاضي، ونائبه للعلاقات الخارجية الشيخ محمد حاج ليحدثونا عن الحزب خصوصاً ، وأوضاع المسلمين هناك عموماً.

0• حبذا لو تحدثونا عن إرهاصات إنشاء الحزب؟

مـرت بالمسلمين - كما لا يخفى عليكم - أيام سوداء قاتمة زمن الشيوعية اضطررنا خلالها للعمل السري للمحافظة على كياننا الإسلامي ، وكان في مناطق المسلمين أربع إدارات دينية للإشراف على شؤون المسلمين - زعموا - تحت توجيه وإشراف المخابرات ، وكان لكل إدارة مفتٍ منصّب (شيوعي).

وعندما تحسنت الأوضاع - أيام البيروسترويكا - تحرك المسلمون ضد هذه الدمى وأطاحوا بمفتي آسيا الوسطى شمس الدين بابا خان وكذلك مفتي داغستان محمود حقي.

ثم تحرك الجميع لإنشاء الأحزاب القومية والعلمانية ، وكذا أحزاب النصارى ، مما دعا المسلمين إلى التداعي لإنشاء حزب يضم المسلمين ويخدم قضاياهم. فهب العلماء والدعاة إلى الاجتماع في منتصف 1990 وحضر 220 مندوب من مناطق المسلمين كافة ، وقرروا إنشاء حزب النهضة الإسلامي في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي (قبل تفككه) ، وتألف مجلس شورى من العلماء (17 عالماً) ولجنة تنسيق (7 أعضاء من مختلف المناطق).

0• ما هي أهداف وبرامج الحزب؟

الحزب إسلامي ، وأهدافه نبيلة وتشمل أساساً توحيد المسلمين من كافة مناطقهم ، وكذلك تربيتهم على الأصول الإسلامية من الكتاب والسنة، والدعوة إلى الالتزام بأوامر الدين واجتناب نواهيه. ومن ناحية أخرى العمل على رعاية حقوق المسلمين السياسية والاجتماعية في المناطق التي يكونون فيها أقلية.

0• كيف تطورت أوضاع الحزب بعد انهيار الاتحاد السوفييتي؟

في البدء كان لنا فروع في (9) جمهوريات أكبرها طاجيكستان وأزبكستان ، واستطعنا إنشاء صحف في مختلف الجمهوريات مثل : »الدعوة« و»النجاة« في أزبكستان و»بيان الحق« و»الوحدة« وغيرها في المناطق الأخرى.
وكذلك قمنا بتوزيع الكثير من النشرات الإسلامية. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أصبحت الأحزاب ذات الصبغة العامة غير معترف بها ، وبالتالي قمنا بتسجيل الحزب في مختلف الجمهوريات تحت الاسم نفسه وتجمعها رابطة النهضة الإسلامية ، حيث سجل فيها (70) ألف عضو من كافة مناطق الاتحاد السوفييتي (سابقاً).

0• هل للحزب أدوار سياسية؟

قبل سقوط الاتحاد السوفييتي شارك الحزب في الانتخابات،وفي طاجكستان شارك الحزب مع المعارضة القومية في الضغط على الحكومة ورئيسها (الشيوعي) عن طـريـق الاضــرابات والاعتصام حتى قدم الرئيس الكثير من التنازلات. وتعتقد قيادة الحزب أن الوقــت الآن للتربية وتوجيه الناس وانتشالهم من الجهل الذي يعانونه ، أما الجانب السياسي فقادم في المستقبل إن شاء الله.

•0 هل لكم أن تعطونا فكرة عن عدد أعضاء الحزب الآن ، وواقعه؟

لعلمكم فإن روسيا وعدد سكانها ما يقارب 150 مليون تحوي ما يقارب 26 مليون مسلم يتركز بعضهم في مناطق تتميز بالحكم الذاتي - مثل داغستان التي ننتمي إليها - ويتوزع الآخرون في روسيا نفـسـهـا، وعــدد أعضاء الحزب في داغسـتـان فقط ثلاثة آلاف عضو، يجمعهم مجلس شورى من تسعة عـشـــر عـضـواً ، وهم يمـثـلـون مليوني نسمة من أهالي داغستان. ويعاني الحزب من آثار الشيوعية الباغية حيث كل المساجد والمدارس مدمرة ، ولك أن تتصور أن داغستان أيام القيصرية كانت تحتوي 2700 مسجد و800 مدرسة فضلاً عن آلاف العلماء الذين قتلوا أو هربوا.

•0 هل هناك أحزاب إسلامية أخرى؟

نعم يوجد حزب ديمقراطي إسلامي !! وهو صوفي النزعة ويستخدمه القوميون مطية لهم ، وكذلك «جماعة المسلمين» وهم شافعية ملتزمون بالكتب المذهبية ويصفون من يخالفهم - ممن يستفيدون من جهود الآخرين وبالأخص المعاصرين - بأنهم وهابيون ، وقد كان لهم جهود طيبة سابقاً في محاربة الشيوعية.

•0 ما أخطر المشكلات التي تواجه الحزب الآن؟

في الحقيقة تعتبر اللغة مشكلة كبيرة ، وعائقاً أمام أعمال الدعوة ولك أن تتـصــور مليوني نسمة (في داغستان) يتكلمون (33) لغة وبالتالي فاللغة الروسية هي السائدة ، أما العربية - التي كانت رسمية قبل أيام القياصرة - فإنها تستعيد دروها تدريجياً،والإقبال على تعلمها كبير رغم قلة المعلمين والكتب الدراسية.

مـن ناحـيـة أخرى تمثل العلمانية خطراً داهماً على المسلمين ، وذلك بسبب جهل العامة بالإسلام رغم حبهم وعاطفتهم تجاه هذا الدين أما طبقة المثقفين (أغلبهم كانوا شيوعيين في السابق بـسـبـب الـمـصـالـح الدنيوية) فإنهم لا يعادون الدين ، وفي الوقت نفسه لا يعادون العلمانية لجهلهم بمـقـاصـدهــا ومرامـيـها وتبقي النخبة الباقية التي يغلب عليها التوجه العلماني ومضادة الدين ، والمدعومة من تركيا العلمانية بالخبراء والمستشارين. وهذا مع قلة علماء الشريعة والدعاة المصلحين.

0• يعاني المسلمون - في عموم الجمهوريات الإسلامية - بعد سقوط الاتحاد السوفييتي مشاكل عديدة ، هل لكم أن تلخصوا لنا أبرزها؟

تعلمون أن المسلمين هم أكبر المتضررين في الوقت الحاضر فالمشاكل الاقتصادية تعصف بهم من غلاء معيشة ، وفقر ومرض ، وكذلك المشكلات الاجتماعية من خمور ومخدرات وملاه ومنكرات تملأ المجتمعات ، وفي جانب التعليم : الروسية هي اللغة التعليمية وهي إلزامية في المدارس ، وفي الجانب العسكري فإن الجمهوريات الإسلامية تعاني من قلة السلاح الذي ذهب كله إلى روسيا وأوكرانيا ، وما عدا كازخستان ، وهي مجبرة على التخلص من أسلحتها النووية ، أما في الجانب السياسي فالمسلمون بين فكي كماشة ؛ فمن جهة إيران تتربص وتتحين الفرص لنشر مذهبها ؛ ومن جهة أخرى تركيا العلمانية التي تسعى لنشر مبادئ أتاتورك - بتوجيه أمريكي غربي - ، واليهود الذين استفادوا كثيراً من الوضع المتردي والسيطرة على الكثير من المؤسسات الاقتصادية. والدول الغربية تعمل بجد على نشر الإنجيل والتوراة في أوساط المسلمين - رغم علمهم بأن بضاعتهم كاسدة - فنجد الترجمات بكافة اللغات المحلية والنشر على أوسع نطاق ، فضلاً عن المحاضرات والندوات.

0• الطوائف المرتدة عن الدين مثل البهائية والقاديانية تندّس وتزدهر في أوساط الجهل ، فهل لهذه الطوائف وجود في بلادكم؟

بالطبع ، فالبهائية لها نشاط قوي ملموس وخصوصاً في موسكو وهم أكثر من 1000 فرد ، أما القاديانية فلهم دُور خير في روسيا وسيبريا ولاتفيا وروسيا البيضاء، وهم يذهبون لجهلة المسلمين حيث يبنون لهم المساجد ويأتون لهم بالأئمة من باكستان وانجلترا وبالتالي يجدون لمذهبهم رواجاً، وهذا يحمّل المسلمين المخلصين المسؤولية ، وبالأخص المقتدرين منهم ، وأعتقد أن نشر الكتب باللغات المحلية وكذا بالروسية (التي يتقنها أكثر المسلمين) سوف ينفع كثيراً في هذا المجال.

ختاماً نشكر الأخوين على المعلومات المفيدة التي عرضاها ، ونضع الأمر بين يدي المعنيين ليقوموا بدورهم في هذا المجال، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

محنة الشعب الصومالي

محمد عثمان عقال

بعد مرور عام ونصف على سقــوط الطاغية سياد بري لا زالت الأحوال في الصومال تتردى من سيئ إلى أسوأ ، حيث يذوق هــذا الـشـعـب الجـريـح القتل الجماعي والمجاعة بأيدي الجهات القبلية التي مزقت أرض الصومال ، وقسمت الـشـعـب المـسـلـم إلى قبائل متناحرة متقـاتلة ، كل هذا رغم مقومات الوحدة لهذا الشعب. فهو شعب مسلم بالكــامـل وجـنــس واحد ، كما أن أصول الناس ولغتهم وتاريخهم تعتبر شيئاً واحداً.

إن مـا يـحدث في الصومال ، وإن كان بأيدي هذه القبائل المتناحرة ؛ إلا أن المؤامرة ليست بعيدة عنه لإضعافه وتشريد شعبه.

لقد قسمت الصومال ومزقت من قبل على أيدي المستعمر الغربي ، ففي مؤتمر برلين قسمت الصـومــال بـيـن بريطانيا، التي استولت على الجزء الشمالي المشرف على خـلـيـج عــدن، وأسمته : المحمية الصومالية ، واحتلت إيطاليا الجزء الجنوبي ، وأخذت فرنسا ما سمته الصومال الفرنسي (جيبوتي الآن).

واقتطعت بريطانيا جــــزءاً آخـر هو الذي ألحقته بكينيا لدى نيلها الاستقلال عام 1963م والمسمى (NFD) ، وأخيراً احـتـلـت الحبشة نصيبها المسمى بإقليم اوغادين عام 1954م بعد انسحاب بريطانيا إثر اتفاقية سرية مع الحبشة. والصومال الحالي هو عبارة عن الجزء الإيطالي والمحمية الصومالية .

ومخطط الاستعمار الغربي ينفذ اليوم عـلـى أيــدي الـعـلـمـانـيين والمجرمين الذين يقودون الجبـهـات القبلية التي ذاق الشعب الصومالي على أيديها كل أنــواع الـقـتـل والنـهــب والاغتصاب. لقد استفادت هذه الجبهات من النظام الاجتماعي القبلي لهذا الشعب ، مع أن هذا النظام كان مبنياً على التعاون والإخاء ونصرة المظلوم والتكافل حتى وصل الأمر إلى المثل المعروف وهو أن القبيلة الطيبة لا يوجد فيها أحد جائع.

لا شك أن سياد بري خلال إحدى وعشرين سنه من الظلم والاستبداد والتعذيب والتحريش كان بمثابة رأس الفتنة ، ثم أجهزت الجهات القبلية على الباقي حتى أصبح الشعب الصومالى شعباً مشرداً لاجئاً في جميع أنحاء العالم.

الجبهات وتوجهها:

1- جبهة الإنقاذ SSDF أسسها في كينيا العقيد عبد الله يوسف عام 1978م وهي أول جبهة مسلحة حاربت نظام سياد بري إثر قمعه القبائل في الشمال الشرقي والمنطقة الوسطى ، وهي تسيطر الآن على شمال شرق الصومال والمنطقة الوسطى ، ويرأس هذه الجبهة الآن محمد أبشر موسى.

2- جبهة التحرير الوطني SNM ، أسست عام 1982 في بريطانيا ، وقاومت نظام سياد بري في الأجزاء الشمالية من البلاد. وبعد سقوط بري أعلنت هذه

الجبهة انفصال الجزء الشمالي عن بقية البلاد كحكومة مستقلة سمتها »أرض الصومال«. ويرأسها الآن عبد الرحمن محمد علي.
3- جبهة منظمة المؤتمر الصومالي UCS ، والتي سيطرت على العاصمة والمناطق المجاورة بعد سقوط النظام الفاسد ولكن ما لبثت قليلاً حتى انقسمت إلى قسمين متناحرين اندلعت حرب دامية بينهما في العاصمة قتل على أثرها الآلاف. والجنرال محمد فارح عيديد يرأس قسماً والقسم الآخر يرأسه علي مهدي محمد الرئيس المؤقت للبلاد والذي يمثل الجماعة الموالية للغرب والمدعومة من قبل أمريكا.

وقف الفتنة:

لقد قام نفر من الدعاة بنشر الدعوة الإسلامية في أرجاء البلاد ، حتى وصل أمر الناس إلى مرحلة محمودة هن الالتزام الطيب بالإسلام ، وكان الاتحاد الإسلامي - وهو أكبر تجمع إسلامي في البلاد - طليعة الشعب الصومالي في محاولة وقف الفتنة منذ عهد سياد بري. حيث تصدى لمحاولاته التفريقية لهذا الشعب إلى قبائل متناحرة متبعاً بذلك قاعدة: فرق تسد.
وبـعـــد سقوط نظام سياد بري بذل الاتحاد جهوداً جبارة للتوسط بين الجبهات المتقاتلة، كما بذلوا جـهـــوداً لحـمـايـــة المصالح العامة مثل: الموانئ والمستشفيات ومواد الإغاثة، وتوزيعها على الفقراء والمساكين وضحايا الحرب، وأكبر مثال في هذا هو »بوصاصو« في شمال شرق الصومال و»مركا« في جنوب البلاد.
إن على المسلمين الصوماليين نبذ العصبية القبلية، والتوبة إلى الله ، وإنقاذ هذا الشعب من الدمار والهلاك الذي لحقه بسبب سياد بري وبسبب الجهات العلمانية القـبـلـيــة، وعلى الإخـــــوة أتباع الحركات الإسلامية في الصومال توحيد صفوفهم ونبذ الحزبية والـفـرقــة لمواجهة التنصير الغربي في معسكرات اللاجئين سواء في كينيا والحـبـشـــــة، أو في داخل البلاد.
وإن على المحسنين المسلمين الميسورين أن يدعموا الدعاة المسلمين في الصومال حتى يتمكنوا من أداء واجبهم تجاه تحرير الصومال وتضميد جراح هذا الشعب المسلم.

بيان هام
من الاتحاد الإسلامي في أوجادين

من المعلوم أن منطقة »أوجادين« المحتلة مـن قـبـل أثـيـوبـيـا هي المحور الأساسي المتمثل في الصراع بين المسجد والكنيسة منذ الحروب الصليبية في القرن الـخـامـس عشر الميلادي.

وقد قامت عدة حروب لتخليص المنطقة من الاستعمار الحبشي وكانت الحرب سجالاً ، إلى أن جاء الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي فلقن الاستعمار الحبشي درساً لم ينسه بعد ، مما استدعى تدخل الدول الغربية وفي طليعتها »البرتغال« لحماية المسيحية في أفريقيا ، وما زالوا يدفعون في سبيل الحفاظ عليها وإخضاع الشعوب الإسلامية للأقلية المسيحية الغالي والنفيس.

وبعد انهيار حكومة »منغيستو« الشيوعية تسلمت مقاليد الحكم الجبهة الشعبية »النجراوية« بتدبير من الصليبية والصهيونية العالمية ونتيجة لضعفها وعدم قدرتها للسيطرة على جميع القوميات نادت بالديمقراطية ووعدت بمنح تقرير المصير للقوميات المختلفة بعد سنتين ، إلا أن هذا الوعد لم يكن إلا مطية لتقوية وتعزيز قدرتهم العسكرية والاقتصادية ، ومن ثم القضاء على أي قوة مناهضة.

ويعتبر الاتحاد الإسلامي في أوجادين حزباً معترفاً به ، وله نشاطه الدعوي على منهج السلف الصالح، وقد قام بفتح مكاتب سياسية في جميع المدن والقرى ، كما أنه أسس معسكرات لتدريب الشباب عملاً بقوله تعالى : ((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ)) [الأنفال:60] وعندئذ تفجر الحقد الصليبي فقامت الحكومة الأثيوبية (تجراي) بتحريض من القوى الصليبية العالمية بهجوم واسع النطاق بقوات قوامها ألفا مقاتل تقريباً على معسكر طارق بن زياد التابع للاتحاد الإسلامي في أوجادين وذلك بتاريخ 11/8/1992م واستمرت المعركة ثمانية ساعات متتالية ، وسفرت بحول الله وقوته عن هزيمة القوات المسيحية هزيمة نكراء ، حيث قتل منهم ما يزيد على مائة جندي ، ومن بينهم قائد الجيش ، وجرح منهم حوالي سبعين رجلاً ، بينما تاه في الغابات كثير من قواتهم ولا يعرف لهم مصير.

((ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) [آل عمران: 169]، كما جرح من المجاهدين تسعة منهم نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم ويسكنهم الفردوس الأعلى.

ومنذ تلك المعركة التي نقضت فيها حكومة الحبشة جميع العهود والمواثيق تهدمت دعوى الديمقراطية المزعومة التي كانت تتستر بها ، وانكشف الغطاء عن الحقد الصليبي والذي لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة.

مكتب العلاقات الخارجية والإعلام

هل يخون الغرب نفسه ؟*

مقابلة مع علي عزت بيكوفيتش

ترجمة : أحمد العبدة

•0هل تعتقد أن شيئاً قد تحقق في مؤتمر لندن الأخير؟

أقل مما توقعنا وما تمنياه. ولكن تحقق بعض التقدم.

•0هل لديك شك في عزم الغرب على تنفيذ الاتفاقية التي أقرت هنا؟

نعم ، لقد فوجئنا بنقص رغبة الغرب السياسية في الحل وأحزننا ذلك.

•0هل تشعر أنك قد خذلت من قبل الغرب؟

إلى حد ما ، نعم. إنه لـيـس خـــذلاناً لأمانينا بقدر ما هو خذلان للغرب نفسه. لقد خذل الغرب مبادئه. إن من حسن حظ الـغــــرب أنه لم يتردد في بداية الحرب العالمية الثانية كتردده الآن. لو أنهم ترددوا حينئذ لما دخـلــوا الحرب. ولكنا لا زلنا نعيش تحت الحكم النازي إلى يومنا هذا.

•0إن الـصـــرب يسـيـطــرون على 70% من أراضي البوسنة ، ألا تعتقد أنك ستكون مفاوضاً من موقف ضعيف جداً في المحادثات القادمة في جنيف؟

أولاً : إنهم لا يسيطرون على 70%، إنهم يسيطرون على حوالي 50%. ثانياً : صحيح أننا في موقف صعب ؛ لكنهم هم أيضاً في مـوقـف صعب ، لقد تعبوا من الحرب ، خسروا الحرب السياسية في الداخل والخارج، وخـســــروا من الناحية المعنوية لأنهم ارتكبوا كثيراً من الجرائم. جرائم بشعة. من الناحية العسـكــرية نحن مشلولون من ناحية التسليح ، لكنهم مشلولون نفسياً .

•0إذا انتهت الحرب ، وعادت البوسـنـة إلى حدودها قبل الحرب ، كيف يمكن التعايش بين الصرب والكروات والـمـسـلـمـيـن في أرض يقتل فيها الجار جاره؟

كــان الـهـــدف الأســـاسي لكاراديتش قائد الصرب في البوسنة تحطيم الحياة المشتركة في البوسنة . لقد عشنا جمـيعاً مئات السنين في البوسنة والهرسك. أكثر من 80% من أراضينا تقطنها جماعات مختلطة ، مسلمـون ، صرب ، كروات ، وغيرهم . لقد اعتقدنا دائماً أن هذا ميزة مهمة لنا.
وسـنـبـقـى حـاملين هذه الفكرة ما دمنا ننظر للموضوع من منظار القرن الحادي والعشرين ، ولكن الأمر غـيــر ذلـك بالنســبة لهؤلاء الذين يعيشون بعقلية القرون الهمجية. لهذا قاموا بهذه العملية التي سموها التطهير العرقي ، فبذروا الكراهية ، وقتلوا الناس ، محاولين التفريق والشرذمة وإقناع الجميع بـأن الـحـيــــــاة المشتركة أصبحت مستحيلة.

0• هل نجحوا في ذلك؟

للأسف، لقد نجحوا جزئياً، حيث يـتـسـاءل الطيبون بينهم وبين أنفسهم ما إذا كان التعايش لا زال ممكناً. لكن هناك فرق بين قاطنـي الأريـاف وسكان المدن ، ففي مدننا ما زال الاعتقاد شائعاً أن التعايش ممكن ، ولا غرابة في ذلك حـيـث الـنـاس متعلمون أكثر ، وهذا يمثل الأمل للتعايش المستقبلي.

0• ما هي مصادر أسلحتكم؟

نحن نشتريها من أي عارض لنا ، هذا ما أستطيع أن أقوله.

0• هناك تقارير عن مساعدات من دول إسلامية ، تشتمل على المال والسلاح بل حتى مقاتلين ، هل هذا صحيح؟

هذه إشاعات، لكننا نقبل المساعدات من أي جهة، فـلـمـاذا إذن لا نقـبـلـهـا من الدول الإسلامية؟! لكن لم يصلنا من الدول الإسلامية إلا مساعدات إنسانية.

0• هل المجموعة الأوربية صديق للبوسنة؟

أعتـقـد أن أوربا فوجئت لما يحصل في البوسنة والهرسك. بتسلط صربيا ، ولكن أريد أن أؤكد على إن الإجـرام الذي نتعرض له هو نتاج أوربي إلى حد ما. إنه خليط مؤسف من الفاشية والاشتراكية اللتين ولدتا في أوربا.

0• ما نوع صداقة الولايات المتحدة لكم؟

المشكلة أن منطقتنا ليست ذات أولوية للولايات المتحدة ، أولوياتهم هي : الشرق الأوسط، الشرق الأقصى، أميركا اللاتينية، ولـيـس بـلـدنـا. وهذا هو سبب المأساة الحالية التي كان يمكن أن لا تحدث لو تدخلت الولايات المتحدة في وقت مبكر.

0• هل تعتقد أن حرب عصابات موسعة من قبل البوسنة ستعيدها إلى حدودها الأصلية؟

لماذا تسميها حرب عصابات. نحن نحاول تشكيل جيش نظامي، فـحـوالي نصف السكان موالون لنا ، لأن أراضينا أكثر نظاماً وأمناً من مناطقهم.
والمناطق التي عـلـى ضـفـاف نهر البوسنة هي من أكثر المناطق تطوراً من الناحية الصناعية. ولدينا الفرصة لتشكيل جـيـش نظامي.

0• هل الوقت متأخر لمنع انتشار هذه الحرب؟

لا ، الوقت ليس متأخراً ، لا أظن أن هذه الحرب ستتسع ، خصوصاً إذا طبقت القرارات التي اتفق عليها أمس (أي في مؤتمر لندن).

0• هل بالإمكان تطبيق القرارات بدون التهديد بالقوة العسكرية؟

عندي شك عميق في ذلك ، ولكن في رأيي إن المجتمع الدولي لم يقل كلمته الأخيرة في هذه المشكـلـة. ولم يستبعد الخيار العسكري قطعياً. أعتقد أن

المجتمع الدولي من خلال قراراته بالأمس قد قام بخطوة أخيرة لمنع انهيار الوضع ، ولم يستبعد - في حالة عدم التطبيق - حتى الخيار العسكري.

الهوامش:

* عن نيوزويك ، عدد أيلول 7 (سبتمبر) 1992 .

في دائرة الضوء

وشهد شاهد من أهلها

سعد بن محمد آل عبد اللطيف

كثيراً ما يتهم الشباب الصالح الملتزم بدينه في البلاد العربية والإسلامية بأنهم شباب يغلب عليهم "الدروشة" ويمتازون بالسلبية، أو أنهم أناس يستترون بالدين ويسعون إلى تحقيق مآربهم ومطامعهم الشخصية ، أو أنهم اعتزلوا المجتمع وفسقوه وكفروه ونابذوه العداء.. إلى آخر القائمة التي لا تنتهي.

ولعل خير ما يبطل هذه التهم ويوضح مدى تفاهتها ما نشر في مجلة صباح الخير [15/1/1413هـ] - والمعروفة بعدائها السافر للإسلام وأهله - من تنامي نشاط الجماعات الإسلامية وكيف أنهم كسبوا قلوب الأهالي في قرى الصعيد بمصر، وكان عنوان المقال أو التقرير »كيف توغل الإرهاب في قرى ومدن الصعيد« .

حيث يذكر التقرير بعض أوجه النشاط الخيري والتى استطاعوا من خلالها كسب ود الأهالي والوصول إلى قلوبهم ونشر الوعي بينهم ، وذكرت المجلة التالي :

1- مجال وسائل المواصلات: وندرك أهمية هذا المجال إذا عرفنا شدة حاجة الناس إليها - أي وسائل المواصلات - لأداء أعمالهم وتحصيل مصالحهم في المقابل لا تتوفر بسهولة هذه المواصلات ، فما كان من الإسلاميين هناك إلا أن قاموا بتنظيم دورات توصيل الركاب مقابل أجور ثابتة لا تقبل الزيادة ومع فصل الرجال عن النساء ومنع الاختلاط .

2- مجال الصحة : أقام الدعاة هناك المستوصفات الأهلية بجوار المساجد ويشرف عليها ويعمل فيها بعض الأطباء الصالحين ويقومون بالكشف وتقديم الدواء بسعر رمزي وربما مجاناً .

أما مجال الطب البيطري فتزيد أهميته إذا أدركنا أهمية المواشي في مثل هذه المجتمعات الريفية ، حيث يقوم أحد الأطباء البيطريين بتفقد حالات الماشية المريضة والإشراف على علاجها بأسعار زهيدة.

3- مجال التموين : قام الإسلاميون بمساعدة العوائل الفقيرة عن طريق إقامة مشروعات اقتصادية صغيرة وإشراك تلك العوائل في المساهمة فيها مما يساهم في زيادة الدخل عند تلك العوائل ويخفف عنها عبء المعيشة

، ومن تلك المشروعات : مناحل العسل ، مزارع الدواجن ، مشروعات التسمين ، إنتاج الألبان وصناعة المربى والمخللات وأعمال الخياطة والتطريز ، بالإضافة إلى الإشراف على المخابز وتنظيم عملية بيع الخبز .
4- في مجال الـعـمـل الاجتمـاعي : كان للإسلاميين دور فعال في إصلاح ذات البين وفض الخصومات والمنازعات، ومــن أهمها قضية الثأر بل حتى الخلافات الزوجية بالإضافة إلى زيارة المرضى وجمع الزكاة.. الخ.
بالإضافة أيضاً إلى منع ومحاربة المنكرات والبدع ، مثل منكرات الأفراح من الغناء وغيره ، مثل بدع العزاء من إقامة السرادقات وتلاوة القرآن..الخ.
5- في مجال التعليم : يقوم الإسلاميون بإقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجـــد، وتقديم الدروس الخصوصية لطلبة المدارس وفي المساجد أيضاً ، مع بعض التوجيه والإرشاد وأداء الصلوات ، بالإضافة إلى الأنشطة الرياضية المختلفة.
ونـقـول أخيراً: وشهد شاهد من أهلها.. ولكن التقرير يقول في آخره محرضاً ومشوهاً دوافع هـــذه الأعمال : »وهكذا تجيد الجماعات وأمراؤها فنون تسويق الإرهاب بحنكة واقتدار في مجتمع الغليان والنسيان هنا« .
وتعـلـيـقـا على ذلك أن الحق لا بد أن يظهر ، وأن التشويه والتحريض قد يخدم هؤلاء إلى أمد، وأن المـسـلـم عليه أن يحصر جهوده بالعمل والإنتاج والبعد عن القيل والقال ومهاترة السفهاء ، وبذلك تكون له العاقبة إن شاء الله.

شذرات.. وقطوف..

أصناف الناس

»الناس ثلاثة: خيّر، وشرير، ومهين. فالخيّر هو الذي إذا أقصيته قبض نفسه عنك ولسانه من سوء الذكر لك وذكر حسناً إن كان تقدم منك ، والشرير يقبض نفسه عنك ويطلق لسانه في ذكر معايبك. ، وربما تعدى إلى الكذب عليك ، والمهين لا يقبض نفسه عنك ، ولا يزال متضرعاً لعفوك، ومــودة هــذا مــقــرونـة باسـتقامة حالك وصلاح أمورك فإن انتقلا انتقل بمودته«.

أسامة بن منقذ
لباب الآداب

الفرج بعد الشدة

فلولا الذي أرجوه في الـيـوم أو غـد تقـطّع قـلـبي إثرهم حسـرات
فيا نفـسُ طيـبي،ثم يا نفس أبشري فـغـيـر بـعـيد كـل ما هـــو آت
ولا تـجـزعـي من دولة الجور إنني كأني بها قـد آذنـت بشـتــات
عـسـى الله أن يـرتـاح للـخـلـق إنه إلى كل حيّ دائم اللّـحـظـــات

القول والفعل
» ولن يبلغ ألف رجل من إصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن العمل؛ ما يبلغ رجل واحد في إصلاح ألف رجل في تصديق القول بالفعل «.
أبو الحسن العامري

المدينة والريف
».. لكن اليوم تمتص المدينة العملاقة الريف حتى الجفاف ، تلتهم كل يوم كتلاً جديدة من البشر حتى يعتريها الوهن وتموت في وسط قفر بوار من الريف ، وخال من السكان «.
شبنجلر
سقوط الحضارة الغربية

منتدى القراء

لماذا لا نبكي من خشية الله ؟

كثير منا من يقرأ القرآن ويداوم على الصلاة ويحافظ على السنن،ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد يصوم بعضنا الأيام المستحب صيامها ، وكل هذه أعمال عظيمة ولله الحمد.
رغم هذا فإنه يتبادر إلى ذهني سؤال يحيرني ويزعجني وهو: لماذا لا أبكي من خشية الله؟ كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يبكون عند أدنى شيء يذكرهم بالله جل وعلا. فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عـنـدمـا قرأ في صلاة الفجر قوله تعالى : ((فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ)) شهق شهقة قوية ، فسقط فجلس يعاد في بيته وهو على فراشه أسبوعاً كاملاً .
وهذه قصة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- عندما جاء بيته وجلـس على فـراشه وهو يبكي ، فجاءت زوجه فاطمة فبكت لبكائه ، وبكى الخدم لبكائهما ، وعندما سكت قالت له : بأبي وأمي ما يبكيك ، قال : تذكرت موقفي يوم العرض. وغيرها كثيرة معلومة. وقد يكون السبب في ذلك والله أعلم :
1- عدم حضور القلب حضوراً تاماً في الصلاة ، والتلذذ فيها هي أو غيرها من العبادات ، والغفلة عن تلاوة القرآن وتدبره. يقول ابن القيم -رحمه الله- : إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله. قال تعالى : ((إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ)) [ق:37].
2- ما يعتري القلب من أمراض معنوية كالحسد وحب الرئاسة وإظهار النفس وحب المال والكبر وغيرها.

3- الاهتمام بجانب واحد وإهمال الجانب أو الجوانب الأخرى ، كمن يهتم بتلاوة القرآن ولا يترك فضول الكلام ، فهنا لن تحصل تمام الخشية والإنابة على الوجه المطلوب.
4- العكوف والإصرار على المعصية مما يجعل القلب يقسو وينكت فيه نكتة سوداء. والركون إلى شيء من حطام الدنيا الزائل.

محمد بن حمد أبو عزام

عندما رد مقالي !!

لم نتعود بعد على فن المقالة والـمـشـاركـة بالكـتـابات في المجلات والصحف ، وبالتالي لم نتعود أن ترد مقالاتنا التي نرسلها.
كم يفـخـر الإنـسـان بأن ينشـر مقـالـه في مجلة راقية قوية المنهج ، صادقة اللهجة كمجلة البيان التي أرسلت إليها مقالاً ولكنه رُدّ ، حقاً كم هو قاسٍ على نفسي أن يرد مقالي ، بعد أن أودعته بنظري القاصر من كنوز المعاني، وعـنـدمـا أفـقـت مـن صدمـتي ورجع إلي عقلي سألت نفسي : هل هم مخطئون أم أنه العجب بنفسي ، هل التزمت بشـروطهـم للـنشـر أو الجدة من حيث المنهج أو اللغة ، أو الجدة في الموضوع أو التوثيق العلمي وأجبت : لا. قلت: إذن فـلـمـاذا الـغـضـب حـيـث ترد مقالاتنا ولا تنشر. ألم أقل إننا لم نتعود على فن الكتابة الصحفية ..

هدى السيف

بريد القراء

0• الأخ سالم عقيل باصلاح

أرسل لنا كلمة قصيرة حول طموح الشاب المسلم لخدمة دينه وطموح الشاب الذي أكبر همه امتلاك سيارة وهما صنفان لا يستويان.
البيان : شكراً للأخ سالم وننصح بكثرة القراءة.

0• الأخ عبد الله عياد

أرسل كلمة قصيرة حول تميز الشخصية الإسلامية ، والرجوع إلى هويتنا وثقافتنا.
البيان : شكراً للأخ عبد الله ونتمنى لك التوفيق.

0• الأخ محمد الشبيشي

أرسل مثنياً على البيان ومقترحاً إيجاد زاوية لحل مشاكل الشباب ، ويرى مضاعفة التوزيع في كل مكان حتى يتعرف عليها القراء.

0• الأخ مقبل

أرسل قصة قصيرة بعنوان (عتاب).
البيان : نشكر الأخ مقبل وننصحه بكثرة القراءة وإعادة المحاولة.

•0الأخ أحمد سعود الطيار

أرسل مثنياً على البيان ومستفسراً عن تعلم الإنكليزية عن طريق المنتدى.
البيان : لا يوجد الآن في المنتدى دورات لتعلم الإنكليزية ولكن يمكن للمنتدى أن يساعد الأخ القادم في التعرف على المعاهد أو الدورات التأهيلية.

•0الأخ عبد الإله الزعير

نشكر لك محاولتك »استشعار لذة العبادة« والموضوع يحتاج - كما بينت - لكاتب مقتدر حتى يشمل الموضوع ويعتني به ، ونرحب بك في محاولات أخرى.

•0الأخ نجم الدين عبد الله المعروف

نشكر لك على مقالك »المساواة بين الرجــل والــمـرأة كـمـا يراهــا الإسلام« والفكرة جيدة لكن الموضوع يحتاج استقصاء أكثر مما عرض وحبذا الاستفادة من الكتب الكثيرة في هذا المجال وأهمها »عودة الحجاب القسم الثاني« للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل.

•0الأخ فائز سعيد الزهراني

أرسل لنا كلمة قصيرة يحث فيها المسلمين على العمل والصبر واستنفاد. كل الطاقات التي يملكونها حتى تعود إليهم العزة والكرامة.

•0الأخ يوسف بن عياد الحنيني

أرسل لنا كلمة قصيرة عن العالم المجاهد عبد الله بن مبارك.
البيان: جـزاك الله خيراً يا أخ يوسف وقد نشرت البيان في أعدادها السابقة ترجمة لهذا الإمام العالم.

قديم جديد

الحرب الصليبية في البلقان*

قد عرف كل قارئ وكاتب وواع وسامـع حقيقة ما تسميه أوربا (المسألة الشرقية) وهو إزالة دولة الإسلام من الشرق - وبعبارة أخـرى مـن الأرض - وجعلها قسمة بين الدول الغربية- وبعبارة أخرى المسيحية - وأول ما يهمهم مـن بـلاد المسلمين ما كان منها في أوربا فإن من طباع الأوربيين وغرائزهم الموروثة شدة العصبية على من لم يكن منهم وعدم احتمال وجوده بينهم. بل كانوا لا يحتمل بعضهم من بعض مخالـفـة فـي ديـن ولا مذهب ، ولذلك أبادوا الوثنيين من أوربا لما صار أكثرهم نصارى ، وأبادوا المسلمين في غربي (الأندلس) ولا يزالون يعملون لإبادتهم من شرقيها (تركية أوربة).

... كـانت الدولة العثمانية أقوى من جميع الدول الأوربية بأساً ، ولكنها لم تكن قط أقوى عقلاً ورأياً، فـكـانـوا يستفيـدون مـن قـوتها بحسب دهائهم ، حتى صاروا بارتقاء العلوم والفنون وما يترتب عليها من الصناعات أقــوى مـنهـا. حينئذ طـفـقـوا ينتقصون بلادها من أطرافها ، فأزالوا سلطانها عن بلاد اليونان والرومان والبلغار، وأسـسـوا مـن الـبـلاد التي كانت لها عدة إمارات وممالك بجوارها تأسيساً تدريجياً ، وأخذوا على عاتقهم حمـايتها منها ، فإذا أغارت إحدى هذه الإمارات أو الممالك على شيء من بلاد الدولة حتى عندما كـانـت تحـت سـيادتـهـا ساعدتها أوربا على امتلاك ما أغارت عليه ، وإذا وقعت حرب انتصرت فيها العثمانية وأخــذت شـيـئـاً من بلاد إحدى هذه الممالك ردته أوربا إليها ولم تسمح للعثمانية بأن تستفيد من انتصارها شـيـئــا. والأصــل في ذلك القاعدة المتفقة (كذا ، والصحيح المتفق) عليها بين دول أوربا كافة ، ونقل عن الـلــورد سالسبوري التصريح بها وهي »ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود إلى الهلال ، وما أخــــذه الـهـلال من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب«.

... وقد صرح بعض ملوك التحالف البلقاني ووزراؤه بأن هذه الحرب صليبية محضة المراد منها إنقاذ المسيحيين من سلطة »الترك الكافرين« وصرحت الدول العظمى في أول الأمر عندما كن يعتقدن أن الدولة العثمانية أقوى من البلقانيين ويرجى أن تنتصر عليهم بأنهن لا يسمحن للغالب في هذه الحرب بأن يأخذ شيئاً من ملك المغلوب ، بل يجب أن تبقى البلاد كلها على حالتها الحاضرة التي تواثقت الدول كلها على حفظها. فلما ظهرت بوادر الغلبة للـبـلـقــانيين على الترك بدا لهم ، ولم تخجل دولة ولا جريدة لدولة من التصريح بأنه لا يمكن حرمان دول البلقان من ثمرة انتصارها.

هذا قول إجـمــــــالي وجيز في تصرف أوربا في الدولة العثمانية إلى هذا اليوم ، وهو تصرف العاقل الحكيم في الـقـاصـر الجاهل. وإنني أعتقد أن أوربا لم تكن في الماضي ولا في الحاضر شراً علينا من أنفسنا، ولو وجد في الدولة عقلاء مصلحون لتيسر لهم النهوض بها بمساعدة أوربا نفسها ، ومــن لا يصلح نفسه لا يصلحه غيره. والدولة تعرف في الجملة ما هي أوربا وهي الآن منها كالمريـض بـيـن يـدي مـمـرضـه الذي يعالجه عند شدة الألم بالمورفين الذي يسكن آلامه في الحال ، ليسلبه الحياة في الاسـتـقبال ، ولكنه لا يرى نفسه في غنى عنه ، فهي تلقي نفسها بين يدي أوربا ، وتقول لها: تـصـرفـي كـيـف شئت ولكن تكرمي بالرفق واللين.

البيان: هــــذه هي ســياسة أوربا الآن لم تتغير ولن تتغير أبداً، فكل ما يأخذه الصرب من المسلمين في البوسنة فهو حلال، ولو انتصر المسلمون لأوقفوا القتال بحجة عدم اعتداء دولة على دولة.

الهوامش:

* المنار مجلد 15/جزء 11 ص 817-818.

الصفحة الأخيرة

مفكرو الشوروقراطية!

جمال سلطان

نبتت في زمانـنـا هذا، نابتة من هذه الأمة، لا تتكلم في شيء من أمر دينها أو دنـيـاهــا إلا بالقياس إلى الآخــريــن ، والآخــرون هم الغرب تحديداً ، وبالتالي ؛ فإن أية نظرة إليهم في فقه الإسلام ، أو مقتضيات شـريـعـة ؛ لا يمكـن أن تفهم فهماً أصيلاً ذاتياً منبثقاً من هدي كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومـسـتـرشـــداً بالتجربة الفكرية والعملية التي مرت بها الأمة في قرونها السابقة ، ولا سيما قرون الرشــاد والاستقامة والقوة.

فإذا أراد أحدهم أن يفهم »حقوق الإنسان« في دين الله ، تراه يكـتـب حاشـية أو تذييلاً على »المتن الأوربي« لمقررات حقوق الإنـســان، ثم يوشــي هـذا المتن بآيـة أو حديث، لكي يضمن إضفاء وصف »إسلامي« على مؤلفه ، ولا بأس - لكي يرفــع من شــأن الإسلام أمام الحضارة المعاصرة! - أن يلوي أعناق النصوص ، ويتلاعب ببعضها ، ويرفض ما شاء من سنة النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- لكي يضمن موافقة الإسلام و»توقيعه« على الوثائق الأوربية في هذا الشأن.

ومن طـرائـف هذا الفريق ، ما ذهب إليه بعض »المغاربة« عندما أراد أن يضع توقيع »الإسلام« على الديمقــراطـيــة الغربية ، فرأى أن "الشورى" كمفهوم إسلامي هو المكافئ »للديمقراطية« الغربية ، مع بعض »الـتـهـذيـبـات« التي نضعها هنا أو هناك لكي نزاوج بين الطرفين ، وقد ولّد هؤلاء النفر مصطلحاً جـديــداً لـيـعـبـر عن هذه »المزاوجة« بين الإسلام والغرب ، وسموه »الشوروقراطية«. هذا المصطلح فـي - تقـديــري - يـصـلـح أن يكون علماً على منحى »السقوط« و»التبعية« الفكرية لدى قطاع من المنتسبين إلى »الفكر المستنير، فعلى الرغم من كثرة ضجيجهم حول الأصالة ، والتجديد ، والاجتهاد ، والإبداع ، إلا أن منطلقـاتهم الفكرية ، ووعيهم المنهجي ، ما زال يحيا في »مناخ المهزومين« ، وعبودية »الأتباع« ، ومثل هــؤلاء لا يمـكـن أن يكونوا أداة بعث حضاري جديد ، ولا ممثلين عدولاً لدين الله الحق ، بل لا نغالي إن قلنا أنـهـم يعـطـلـون مـسـيـرة النهضة الإسلامية الجديدة ، ويفـتـتون قواها بمثل ذلك التمييع الفكري ، والارتباك المنهجي ، والخواء النفسي.

تمت بعون الله والحمد لله
